



جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

موسوعة الخطب العصرية
الجزء العاشر

إعداد

الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة

إشراف ومراجعة وتقديم

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{إِنْ أُرِيدُ إلا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْـتُ وَمَـا تَوْفِيقِي إلا بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}

(هود: ٨٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعـــد:

فهذا هو الجزء العاشر من موسوعة الخطب العصرية الذي أعدته الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة بوزارة الأوقاف تحت إشرافنا ومراجعتنا نقدمه للسادة الأئمة والخطباء والمثقفين والمعنيين بالشأن الدعوي في مصر والعالم .

وقد تنوَّعت موضوعاته ما بين قضايا إيمانية وتربوية وأخلاقية ؛ تهدف إلى إيقاظ الضمائر وتهذيب الأخلاق ، وقضايا اجتماعية تسهم في دعم وتقوية أواصر المودة والرحمة بين أبناء المجتمع ، وتسهم في حفظ تماسكه وتلاحم نسيجه ، وأخرى تتصل بالمعاملات التي تعدّ جزءًا لا يتجزأ من السلوك القويم للمسلم ، وقضايا وطنية تهدف إلى تقوية الانتماء الوطني والحفاظ على أمن الوطن واستقراره ، إضافة إلى ما لا غنى عنه من بعض خطب المناسبات ، مع مراعاة السهولة واليسر ، والبعد عن التقعر والتكلف .

ويتناول هذا الجزء العديد من القضايا العصرية والاجتماعية الهامة ، منها: جبر الخاطر وأثره على الفرد والمجتمع ، المفهوم الأوسع للصدقة ، التفوق العلمي وأثره في تقدم الأمم ، قيمة الاحترام ، السلام مع النفس

والكون ، التاجر الأمين، الصانع المتقن ، الزارع المجد ، المستثمر الوطني ، إعمال العقل في فهم النص (الإمام أبو حنيفة ومدرسته الفقهية أنموذجًا)، المرافق العامة بين تعظيم النفع ومخاطر التعدي ، ركائز الأمن المجتمعي ، لغة القرآن والحفاظ على الهوية ، مخاطر الطلاق ، إلى غير ذلك من الموضوعات المهمة التي تسهم في بناء الوعي ونشر الفكر الوسطي المستنير.

وقد راعينا في هذه الخطب أن تكون في إطار سماحة الإسلام ووسطيته ، بعيدة كل البعد عن جميع ألوان التشدد والغلو والإفراط أو التفريط ، محققة لرسالة المسجد ، تجمع ولا تفرِّق ، وتهدف إلى تحقيق مصالح البلاد والعباد ، من منطلق أن شرع الله (عز وجل) قائم على مراعاة هذه المصالح ، فحيث تكون المصلحة فثمة شرع الله وبما يؤدي إلى تشكيل وعي ديني صحيح ورشيد ومستنير ، وحسٍّ وطني صادق ونبيل.

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

كيف نستمطر الرحمات الربانية

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)(الأعراف: ١٥٦)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، القائل: (اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ) (سنن ابن ماجه)، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ، وعلى آله وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ .

وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى هو أرحم الراحمين ؛ الرحمة صفته ، والرحمن والرحيم من أسمائه ، أرسل رسله رحمة ، وأنزل كتبه رحمة ، وأعدَّ الجنة لعباده الصالحين رحمة ، وبدأ كتابه الكريم ببيان رحمته التامة ، حيث يقول سبحانه: (بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرّحِيمِ * الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (الفاتحة: ١-٣)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (جَعَلَ الله الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا ، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ) (صحيح البخاري).

إن رحمة الله تعالى لا يحدُّها حد ، ولا يتصورها عقل ؛ فهو سبحانه صاحب الرحمة الواسعة التي تليق بكماله سبحانه، كتبها على نفسه تفضلًا منه على عباده ، حيث يقول سبحانه : (وَرَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ) (الكهف : ٥٨)، ويقول (عز وجل) : (قُلْ لِمَن ما فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ قُلْ لِله كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (الأنعام: ١٢)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَمَّا قَضَى الله الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ :

إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي) (صحيح البخاري)، وحين رأى نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إمرأة تحنو على طفل صغير ، قال لأصحابه: (أترَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟)، قَالوا: لَا ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ ، فَقَال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا) (صحيح البخاري).

ولكي نستمطر رحمات الله سبحانه وتعالى لا بد لنا من أمور ، منها : أن نبرأ من حولنا وقوتنا إلى حول الله تعالى وقوته ، حيث يقول سبحانه : (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ الله لَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله)(الكهف : ٣٩)، وعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قال له : (أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟)، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، قَال: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله) (صحيح البخاري)، وهي كلمة تعني: الاستسلام لله سبحانه وتعالى ، وتفويض الأمر إليه .

ومنها: أن نكون بحق لله تعالى ومعه سبحانه ، فمن كان مع الله كان الله معه، ومن كان الله معه فلا عليه بعد ذلك بمن عليه ومن معه ، ولمعية الله (عز وجل) أسرار لا يدركها إلَّا من رُزق اليقين ، فما يفتحه الله من رحمة فلن يغلقه أحد ، وما أغلقه فلن يفتحه أحد ، حيث يقول سبحانه: (مَا يَفْتَحِ الله لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) (فاطر: ٢)، ويقول تعالى: (أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (الزمر: ٣٦).

ومنها: التضرع إلى الله تعالى بالاستغفار والدعاء ، يقول (عز وجل): (لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ الله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (النمل: ٤٦)، ويقول سبحانه: (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ) (آل عمران: ٨)، ويقول تعالى: (رَبَّنَا آتِنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) (الكهف: ١٠)، وكان من دعاء سيدنا عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ (رَحِمَهُ اللهُ): (اللهمَّ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا أَنْ أَبْلُغَ رَحْمَتَكَ ، فَإِنَّ رَحْمَتَكَ أَهْلٌ أَنْ تَبْلُغَنِي) (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) .

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن من أهم أسباب استمطار الرحمات الربانية أن نتراحم فيما بيننا، حيث يقول سبحانه: (ثُمَّ كَانَ مِنَ الذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالمَرْحَمَةِ)(البلد: ١٧)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) (سنن الترمذي)، وتقول السيدة عائشةَ (رضي الله عنها): جَاءَتني مِسْكِينَةٌ تَحْمِلِ ابْنَتَيْن لَهَا ، فَأَطعمتُهَا ثَلاثَ تَمْرَاتٍ ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً ، وَرَفَعَتْ إلى فِيها تَمْرةً لتَأكُلهَا ، فَاسْتَطعَمَتهَا ابْنَتَاهَا– أي: طلبتا منها هذه التمرة – فَشَقَّت التَّمْرَةَ التي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تأْكُلهَا بيْنهُمَا ، فأَعْجبني شأنها ، فَذَكرْتُ الذي صنعَتْ لرسولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَال: (إنَّ الله قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجنَّةَ ، أَو أَعْتقَها بِهَا من النَّارِ) (صحيح مسلم).

ومنها: التعلُّق بكتاب الله تعالى، وحسن اتباعه ، والتخلق بأخلاقه ، حيث يقول سبحانه: (وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الأعراف: ٢٠٤)، ويقول (جل وعلا) : (وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الأنعام: ١٥٥)، وأن نتحلَّى بالإحسان والسماحة مع الناس جميعًا ، حيث يقول تعالى: (إِنّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ) (الأعراف: ٥٦)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (رَحِمَ الله عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى) (صحيح البخاري).

فما أحوجنا إلى أن نأخذ بأسباب الرحمة التي أمرنا الله سبحانه بها في كتابه العزيز، وعلى لسان نبيّه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حين أجاب من سأله: (أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ ؟ قَالَ : اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ) (سنن الترمذي) ، فلنأخذ بأسباب الرحمة من السعي ، والجد ، والعمل ، والتراحم فيما بيننا ، ونتوكَّل على الله سبحانه في تفويض أمر النتائج إليه، والرضا بما قسمه .

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر .

* * *

المفهوم الأوسع للصدقة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز: (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيم) (الحديد: ١٨)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

وبعد:

فإن الإسلام دين البذل والعطاء ، أمر بالصدقة وجعلها من أجلِّ الطاعات وأعظم القربات ، ووعد المتصدقين بالأجر العظيم ، حيث يقول (عز وجل) : (آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) (الحديد: ٧)، ويقول تعالى: (مَثَلُ الذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦١)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الجَبَلِ) (صحيح مسلم).

لقد شُرعت الصدقة طهرةً للنّفس من الأخلاق الرذيلة، ودفعًا للشح والبخل وقسوة القلب ، حيث يقول تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) (التوبة: ١٠٣)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ فَأَطْعِمِ المِسْكِينَ ، وَامْسَحْ رَأْسَ اليَتِيمِ) (مسند أحمد) ، كما أنها تدفع عن النفس خوف الفقر ، حيث يقول نبينا (صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا نَقَصَ مَال عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ) (سنن الترمذي)، وبها يمحو الله تعالى الذنوب والآثام ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ) (سنن ابن ماجه)، وببركة الصدقة يشفي الله تعالى المرضى ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (دَاوُوا مَرضاكُمْ بِالصَّدقةِ) (السنن الكبرى للبيهقي).

ومفهوم الصدقة في الشريعة الإسلامية واسع ومتنوع، فيشمل الصدقة بالمال وبغيره، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ، قِيلَ: أَرَأَيْت إنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَال: يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَال: أَرَأَيْت إنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَال: يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفِ ، قَال: قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْت إنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَال: يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ أَوْ الخَيْرِ ، قَال: أَرَأَيْت إنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَال: يُمْسِكُ عَنْ الشَّرِّ ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ) (صحيح مسلم)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلال لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّديءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوكَةَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ) (سنن الترمذي).

كما يراعى في هذا المفهوم ترتيب الأولويات عند إخراج الصدقة، فيقدَّم الأعمّ نفعًا على غيره ، فإطعام الجائع ، وكساء العاري ، وعلاج المريض ، وحفظ كرامة الإنسان مقدّم على غيره ، والصدقة التي تلبي حاجات المجتمع وما فيه مصلحة الدِّين ورفعة الوطن أكثر نفعًا وأعظم ثوابًا من غيرها ، فكلما كانت الحاجة أشد كان الثواب أعظم ، حيث يقول تعالى: (وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله

وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ* لِلْفُقَرَاءِ الذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ الله لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلونَ النَّاسَ إلحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٧٢، ٢٧٣).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لقد شرع الله (عز وجل) الصدقة لغايات نبيلة، وحكم جليلة ، تتحقق بها المصالح ، وتتآلف بها القلوب ، وتُقضى بها الحوائج ، ويُستعان بها على النوائب، وهي صورة من صور الأمن والأمان للفرد والمجتمع، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ الله فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ) (صحيح البخاري).

على أننا نؤكد أن دفع المرض وعلاج الفقراء من أولى الأولويات في الصدقات ، خاصة في أيام النوازل ، وهو أهم من دفع الجوع ، بل إن ذلك يُعَدُّ من مصارف الزكاة الواجبة ، فهذا سيدنا مُعَاذٌ (رَضِيَ الله عَنْهُ) قَالَ لِأَهْلِ اليَمَنِ: «ائْتُونِي بِعَرْضٍ ثِيَابٍ خَمِيصٍ – أَوْ لَبِيسٍ – فِي الصَّدَقَةِ مَكَانَ الشَّعِيرِ وَالذُّرَةِ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ وَخَيْرٌ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِالْمَدِينَةِ) (صحيح البخاري تعليقًا)، وكان سيدنا عُمَرَ بن الخطاب (رضي الله عنه) كَانَ يَأْخُذُ الْعُرُوضَ فِي الصَّدَقَةِ مِنَ الْوَرِقِ وَغَيْرِهَا

(مصنف ابن أبي شيبة) ، وذلك لأن المقصود دفع الحاجة ، والمعاونة فيما ينفع الناس.

فما أحوجنا إلى فهم مقاصد الشريعة التي جاءت لإسعاد البشرية ، ورفع الحرج ، وبث روح التكافل والتعاون على كل ما فيه مصلحة البلاد والعباد، فيتحمل كل إنسان مسئوليته الدينية والوطنية ، فيعطي مما عنده من علم ، أو مال ، أو نصح ؛ بما يسهم في دفع الفقر ، والقضاء على الوباء ؛ إرضاءً لله رب العالمين ، وخدمةً للدين والوطن ، حيث يقول سبحانه : (الذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٢٧٤).

اللهم فقِّهنا في الدِّين ، واجعلنا من المُنفقِين المقبُولين.

* * *

كف الأذى عن الناس صدقة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : (وَالذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) (الأحزاب: ٥٨)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليَهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

وبعــد:

فإن الإسلام دين الخير والسلام للعالمين ، أمرنا بالإحسان إلى الناس جميعهم ، وكف الأذى عنهم ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ) (سنن النسائي).

ولقد جعلت الشريعة الإسلامية كفَّ الأذى عن الناس معروفًا وإحسانًا وصدقة ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قِيلَ: أَرَأَيْت إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَال: يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَال: أَرَأَيْت إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَال: يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفِ ، قَال: قِيلَ لَهُ : أَرَأَيْت إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَال: يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ أَوْ الخَيْرِ ، قَال: أَرَأَيْت إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَال: يُمْسِكُ عَنْ الشَّرِّ ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ) (صحيح مسلم).

والمتأمل في الشريعة الإسلامية يجدها أمرت بكف كلِّ أذى يضر الناس ، ومن ذلك أذى الطريق ، من خلال مضايقة المارة ، أو مخالفة قواعد المرور ، أو إلقاء المخلفات في الطرق ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا ، قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :

(فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ) قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟، قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الْأَذَى ، وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ) (صحيح مسلم)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ في طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عليه لَعْنَتُهُمْ) (المعجم الكبير للطبراني)، أي : أصابته وحلَّت عليه لعنتُهم.

وقد بشر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من يسهم في كف الأذى عن الطريق بالجنة ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ وجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ علَى الطَّرِيقِ فأخَّرَهُ ، فَشَكَرَ الله له ، فَغَفَرَ له) (صحيح البخاري).

كما أمرت الشريعة الغراء بكف الأذى عن الجيران ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (وَالله لَا يُؤْمِنُ، وَالله لَا يُؤْمِنُ ، وَالله لَا يُؤْمِنُ) قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: (جَارٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)، قَالُوا: وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ: (شَرُّهُ) (المستدرك للحاكم)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَن كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ) (صحيح البخاري).

ومن صور الأذى التي أمرنا الله (عز وجل) بالكف عنها : الأذى باللسان ، من السخرية ، واللمز ، والتنابز بالألقاب ، حيث يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالألقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالمُونَ*يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات: ١١، ١٢).

ويقول سيدنا معاذ (رضي الله عنه) : يا نبيَّ الله ، وإنَّا لمؤاخَذونَ بما نتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقال: (وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهِم ، أو على مَناخرِهِم ، إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم؟ (سنن الترمذي)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَن كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيصْمُتْ) (صحيح البخاري).

– ومنها: الغيبة ، والنميمة ، والقدح في الأعراض ، وإطلاق الشائعات ، وقد حذر الشرع الحنيف من يقوم بذلك من سوء المصير في الدنيا والآخرة ، حيث يقول تعالى: (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ) (النور: ١٥)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يَا مَعْشَرَ مَن آمَنَ بِلِسَانِهِ ولَمْ يَدْخُلِ الإيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا المسلمين ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبع الله عَوْرَتَهُ ، وَمَن يَتَّبع الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ) (سنن أبي داود)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَال هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) (صحيح مسلم).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

إخوة الإسلام:

فكما يجب علينا أن نكف أذانا عن الناس ، فينبغي أن نكف أذى الغير عن الناس ، وهذا واجبنا جميعًا أن نقف ضد جماعات الفتنة ، وأهل الشر ، وأن نتصدى بقوة لدفع أذى المعتدين على الوطن والأرض والعِرض ، وأن نتكاتف في سبيل ذلك ، كل في ميدانه؛ العسكري ، أو الأمني ، أو الفكري ، أو الديني ، فالجندي يدفع الأذى عن وطنه بثباته وصبره وفدائه ، والشرطي بسهره على أمن وطنه ، والعالم بعلمه وثقافته ، والكاتب بقلمه ، وكذلك كل مصري في موقعه له دوره العظيم في الذود عن وطنه بإخلاصه ، وتفانيه ، وعمله على صالح البلاد والعباد.

فتحية إعزاز وتقدير لكل من يضحُّون في سبيل الوطن ، ويعملون على مجده ورفعته ، ويسجلون أسماءهم بحروف من نور في سماء الفداء والتضحية والشرف.

اللهم أدم على بلادنا الأمن والأمان ، واحفظها من كل مكروه وسوء.

* * *

الحج في زمن الأوبئة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : (وَلِله عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إليه سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالمِينَ) (آل عمران: ٩٧) ، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، القائل : (الحَجُّ مَرَّةً ، فمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ) (مسند أحمد) ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ .

وبعـــد:

فقد تميزت الشريعة الإسلامية باليسر ، والمرونة ، ورفع الحرج عن الناس ، ومراعاة أحوالهم وقدراتهم وظروفهم الزمانية والمكانية ، حيث يقول (عزَّ وجلَّ) : (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ) (البقرة: ١٨٥)، ويقول سبحانه : (لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة: ٢٨٦) ، ويقول تعالى : (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج: ٧٨) ، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَيَسِّرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ) (سنن النسائي)، وحين بَعَثَ نَبِيُّنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَبَا مُوسَى وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ (رضي الله عنهما) إلى اليَمَنِ ، قَال لهما موجهًا وناصحًا: (يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا ، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا) (صحيح البخاري).

والمتأمل في أركان الإسلام – ومنها الحج – يجد أنها تخاطب المستطيع الذي يقدر على الأداء ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لا إله إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)

(صحيح البخاري)، فالاستطاعة مناط التكليف بعد العقل والبلوغ والعلم ، حيث يقول الحق سبحانه: (لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة : ٢٨٦)، ويقول تعالى : (لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ الله بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) (الطلاق: ٧).

والاستطاعة أنواع ؛ منها : الاستطاعة البدنية التي تعني سلامة الجسد عن الآفات المانعة من أداء الفريضة ، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ الله عَنْهُمَا)، قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ الله إِنَّ فَرِيضَةَ الله عَلَى عِبَادِهِ فِي الحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الرَّاحِلَةِ ، فَهَلْ يَقْضِي عَنْهُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ؟ قَالَ: (نَعَمْ) (متفق عليه) ، ومنها : الاستطاعة المالية التي تعني القدرة على نفقات العبادة، فمن لم يجد مالًا للحج سقط عنه الفرض حتى يتوفر له المال.

ومنها: الأمن والأمان للوصول إلى البيت الحرام ، سواء أكان أمنًا من عدو، أم أمنًا من الأوبئة ، ولما كانت شعيرة الحج تجمع المسلمين من كل فج عميق ؛ أصبح الخطر والضرر على حجاج بيت الله الحرام من أثر الأوبئة وانتشارها وسط الزحام قويًّا ، وهو ما يقتضي منع الناس من أن يخاطروا بأنفسهم إلى التجمعات الكبيرة أيًّا كان نوعها أو مقصدها ؛ لأن حماية النفس من الضرر والهلاك من الكليات الست التي جاءت الشريعة بالحفاظ عليها ؛ ولذا كان لولي الأمر القائم على شأن الحج أن يتخذ من الإجراءات ما يضمن سلامة الأنفس ، كما لسائر الدول أيضًا أن تتخذ من الإجراءات ما يؤمِّن مواطنيها ، حيث يقول تعالى : (وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ) (البقرة: ١٩٥) ، ويقول سبحانه : (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) (النساء: ٢٩).

وإن القارئ لأحداث التاريخ يجد أن الأمة الإسلامية مرت بسنوات عُطِّل فيها الحج كليًّا أو جزئيًّا أكثر من عشرين مرة بسبب انتشار الأمراض والأوبئة ، أو عدم أمن الطريق ، أو ظروف طارئة لبعض الدول عطَّلت حج أهلها.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن من كمال الشريعة الإسلامية أنها عظمت من أمر النية ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إنّما الأعْمال بالنِّيّاتِ ، وإنّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى) (صحيح البخاري)، فكل إنسان مأجور بنيته ، وكم من مسلم يبلغ أرفع المنازل بصدق نيته ، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ سأل الله تَعَالى الشّهَادةَ بِصِدْقٍ بلَّغهُ اللهُ منَازِلَ الشُّهَداءِ وإنْ ماتَ على فِراشِهِ) (صحيح مسلم) ، وفي عودته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يوم تبوك قال لأصحابه: (إنَّ بالمَدِينَةِ لَرِجَالًا ما سِرْتُمْ مَسِيرًا ، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا ، إلَّا كَانُوا معكُمْ، حَبَسَهُمُ المَرَضُ) (صحيح مسلم).

ومن هنا فينبغي للإنسان أن يحسن التجارة مع الله سبحانه ؛ فإذا حِيل بينه وبين عبادة لعذر ، فعليه أن يغتنم غيرها ، ومَن أدّى المتيسّر

سقط عنه المتعذّر ، وفي المتاح سعة بالغة ، ولا أفضل من الإسهام في مواجهة الأوبئة بتوفير الأجهزة أو المستلزمات الطبية للمستشفيات ، ودعم الفقراء والمساكين ، وقد قدَّمَ نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قضاء حوائج الناس على الاعتكاف في مسجدِه ، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَحَبُّ النَّاسِ إلى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إلى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا المَسْجِدِ- يَعْنِي: مَسْجِدَ المَدِينَةِ- شَهْرًا) (المعجم الأوسط للطبراني).

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

* * *

الفساد مخاطره وصوره المعاصرة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ) (الأعراف: ٥٦)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن الشريعة الإسلامية جاءت بالصلاح والإصلاح معًا ، وجعلتهما مطلبًا شرعيًّا وضرورةً إنسانيةً ، حيث يقول تعالى: (فَمَن اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الأعراف: ٣٥)، كما حذرت من الفساد والإفساد، وبينت أنه خلق ذميم يبغضه الله (عز وجل)؛ حيث يقول سبحانه وتعالى: (وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (البقرة: ٦٠)،ويقول تعالى: (وَالله لَا يُحِبُّ الفَسَادَ) (البقرة: ٢٠٥)،ويقول (جل وعلا): (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِين) (القصص: ٧٧)، ويقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ إلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) (النساء: ٢٩)، ويقول (تبارك وتعالى): (إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ المُفْسِدِينَ) (يونس: ٨١)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (فَأَمَّا مَن ابْتَغَى وَجْهَ الله ، وَأَطَاعَ الإِمَامَ ، وَأَنْفَقَ الكَرِيمَةَ – أي: من كريم ماله – وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ– أي: كان سمحًا هينًا– وَاجْتَنَبَ الفَسَادَ ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ) (سنن أبي داود).

وإنَّ المتأمل في القرآن الكريم يجد أنه قد أولى الحديث عن الفساد ومخاطره عناية خاصة ؛ فقد أخبرنا سبحانه وتعالى أن الأنبياء وأهل

الفضل في كل زمان ومكان ينهون عن الفساد ، ويحذرون من المفسدين ، حيث يقول تعالى: (وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ) (الأعراف: ١٤٢)؛ وذلك لأن الفساد داء يقتل الطموح ، ويدمر قيم المجتمع ، ويُعَدُّ خطرًا مباشرًا على الوطن ، ويقف عقبة في سبل البناء والتنمية ، يبدد الموارد ، ويهدر الطاقات.

وللفساد صوره المتنوعة ، منها : الاحتكار ، وبخس الموازين ، وتطفيف الكيل ، حيث يقول سبحانه : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) (المطففين: ١-٣)، ويقول جل وعلا : (أَوْفُوا الكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ المُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ* وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (الشعراء: ١٨١-١٨٣).

ومنها: الاختلاس ، والرشوة ، والغش ، سواء أكان غشًّا في الكم بتطفيف الكيل أو الميزان أو المقياس أو الكميات ، أم في النوع بمحاولة إظهار الرديء في صورة الجيد، فحين مرَّ نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على صُبْرَةِ طَعام فأدْخَلَ يَدَهُ فيها ، فَنالتْ أصابِعُهُ بَلَلًا ، فقال: (ما هذا يَا صَاحِبَ الطَّعامِ؟) ، قال: أصابَتْهُ السَّماءُ يا رَسولَ اللهِ ، قال: (أفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعامِ كَيْ يَراهُ النَّاسُ؟ مَن غَشَّ فليسَ مِنِّي) (صحيح مسلم).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

ومن صور الفساد: الاعتداء على أملاك الدولة أو على أي من مرافقها بأي صورة من الصور ، والاعتداء على أعيان الوقف وأمواله ، أو محاولة الاستفادة منه بأقل من القيمة العادلة ، أو التهرب من سداد مستحقاته.

ومن صور الفساد المعاصرة : استغلال وسائل التواصل في نشر الشائعات وترويجها ، والتجسس على الناس ، واختراق خصوصياتهم، وتتبع عوراتهم وغير ذلك مما يعد تهديدًا لأمن المجتمع واستقراره، وهذا من الإرجاف المنهي عنه ، حيث يقول (جل شأنه) : (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلا قَلِيلًا) (الأحزاب: ٦٠)، ويقول تعالى: (لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إلَّا خَبَالا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (التوبة : ٤٧)، ويقول سبحانه : (قَدْ يَعْلَمُ الله الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إلينا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إلَّا قَلِيلًا) (الأحزاب: ١٨)، ويقول (عز وجل) : (إِنّ الذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (النور: ١٩).

إن القضاء على الفساد وتفعيل الحوكمة الكفيلة بالقضاء عليه واجب شرعي ووطني ومجتمعي ، حيث يقول الحق سبحانه : (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ القُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ) (هود: ١١٦)، فالفساد نقمة والإصلاح نعمة ، يقول تعالى : (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) (هود : ١١٧)، ويقول سبحانه: (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا الله يَا أُولِي الألباب

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة: ١٠٠).

على أننا نؤكد أن المفسد أو المختلس أو مُستحلّ الحرام حتى إن أفلت من حساب الخلق فلن يفلت أبدًا من حساب الله وعقابه ، يقول تعالى: (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (المجادلة: ٦)، ويقول تعالى: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَال وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (الشعراء: ٨٨، ٨٩).

اللهم قنا شر الفساد والمفسدين ، واحفظ مصرنا ، وسائر بلاد العالمين.

* * *

التفوق العلمي وأثره في تقدم الأمم

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الألباب)(الزمر: ٩)، وأَشهدُ أَنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فقد رغَّب الإسلام في طلب العلم ، وحثَّ على الاجتهاد والتفوق العلمي ، ولا أدل على ذلك من أن أول قضية تناولها القرآن الكريم هي قضية العلم ، وأول أمرٍ سماوي نزل به الوحي هو الأمر بالقراءة ، حيث يقول تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق: ١-٥)، كما سُميت سورة كاملة في القرآن الكريم باسم القلم ، وبدأها الحق سبحانه بقوله: (ن وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) (القلم: ١)، تأكيدًا على أهمية أدوات العلم ووسائله ، واستهلَّ سبحانه سورة الرحمن بقوله: (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ) (الرحمن: ١-٤)، وفي هذا تنبيه للناس كافة على بيان فضل العلم ، والحث عليه ، وإشارة صريحة إلى أن الإسلام دين العلم والمعرفة ، وأن الأمة الإسلامية هي أمة العلم والحضارة.

ولله درُّ شوقي حين يقول:

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم   لم يبن ملك على جهل وإقلال

ويكفي العلم شرفًا أن الله (عز وجل) لم يأمر نبيه محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالازدياد من شيء في الدنيا إلَّا من العلم ، حيث يقول سبحانه: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) (طه: ١١٤)، بل إن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) جعل الخروج لطلب العلم خروجًا في سبيل الله (عز وجل)، وبيَّن أن الجد في طلبه والتفوق فيه سبب من أسباب دخول الجنة ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيل الله حَتَّى يَرْجِعْ) (سنن الترمذي)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ) (سنن ابن ماجه).

وقد بَيَّن نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن أهل العلم هم ورثة الأنبياء في إرشاد الناس، وهدايتهم، والأخذ بناصيتهم إلى طريق الحق والنور، والتقدم والرقي، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وَإنَّ الأنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وَإنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ) (سنن أبي داود)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (وَإِنَّ فَضْلَ العَالمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ) (سنن أبي داود).

على أننا نؤكد أن التفوق العلمي الذي رغَّب فيه الإسلام ليس مقتصرًا على التفوق في ميدان العلم الشرعي فحسب ، وإنما يشمل كل علم ينفع الناس في شئون دينهم ، وشئون دنياهم ؛ ولذلك فقد جاء قول الله (عز وجل): (إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ) (فاطر: ٢٨)، في معرض الحديث عن العلوم الكونية ، حيث يقول سبحانه: (ألمْ تَرَ أَنّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا ألوانهَا وَمِنَ الجِبَال جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ ألوانهَا وَغرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النّاسِ وَالدّوَابِّ وَالأَنْعَامِ

مُخْتَلِفٌ ألوانهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) (فاطر: ٢٧، ٢٨)، وفي ذلك دلالة على اهتمام الإسلام وعنايته بالعلوم الكونية كاهتمامه وعنايته بالعلوم الشرعية ، وأن التفوق العلمي في شتى المجالات من أهم عوامل بناء الحضارات واستمرارها ، ولله در القائل:

بِقُوَّةِ العِلْمِ تَقْـوَى شَـوْكَةُ الأُمَـمِ   فَالحُـكْمُ فِي الدَّهْرِ مَنْسُوبٌ إلى القَلَمِ

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لا شك أنَّ العلم أهم سبل تقدم الأمم ، فبالعلم تبنى الأمم ، وتستصلح الأراضي ، وتَعْظُم السُّلالات ، وتُدَار التجارات ، وتُطَور الصناعات ، وتُعَالج الآفات ، وتستخرج المعادن ، والأمة العظيمة هي التي تبهر العالم بما تنتجه من علم ومعرفة ، وما تتقنه من زراعة ، وصناعة ، وتجارة ، وثقافة ، وما تخرجه من الأطباء البارعين ، والمهندسين المتقنين ، والصناع الحرفيين الماهرين.

فما أحوجنا إلى أن نأخذ بأسباب التفوق العلمي في مختلف المجالات؛ فإننا إذا تفوقنا في أمور دنيانا احترم الناس ديننا ودنيانا ، وعلى كل منا أن يسعى لأعلى درجات التفوق في مجاله عالمًا ، أو باحثًا، أو صانعًا ، أو حرفيًّا ؛ حتى يسهم في تقدم وطنه ورقيّه ، حيث يقول الحق

سبحانه وتعالى: (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إليهمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة : ١٢٢).

فإذا كان المطلوب هو أن تنفر طائفة من كل فرقة ليتفقهوا في علوم الدين ، فإن على الباقين أن ينفروا فيما ينفع البلاد والعباد ، فتنفر فرقة لطلب الطب ، وأخرى لطلب الهندسة ، وثالثة للعمل بالزراعة ، ورابعة للعمل في الصناعة ، وخامسة للاشتغال بالتجارة ، وهكذا في سائر الفنون والحرف والصناعات.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا .

* * *

فضائل العشر ومفهوم العمل الصالح

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : (وَالفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ) (الفجر: ١،٢)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ .

وبعد:

فقد اختص الله تعالى الأمة الإسلامية بمواسم فاضلة ، وأوقات عامرة، تتضاعف فيها الحسنات ، وتتنوع فيها الطاعات ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (افْعَلوا الخَيْرَ دَهْرَكُمْ ، وتَعَرَّضُوا لِنَفَحاتِ رَحْمَةِ اللهِ ، فإنَّ للهِ نَفَحاتٍ من رحمتِهِ ، يُصِيبُ بِها مَنْ يَشَاءُ من عبادِهِ ، وسَلوا اللهَ أنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وأنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ) (المعجم الكبير للطبراني).

ومن هذه المواسم الفاضلة عشر ذي الحجة، التي جعل الله (عز وجل) العمل الصالح فيها أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا من العمل فيما سواها من الأيام، فهي أيامٌ شريفةٌ فاضلةٌ عالية القدر ، وهي أعظم أيام الدنيا بركةً ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالحُ فِيهَا أَحَبُّ إلى الله مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ) – يَعْنِي: أَيَّامَ العَشْرِ – ، قَالوا : يَا رَسُولَ الله ، وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله؟ قَال : (وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله ، إلَّا رجل خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالهِ ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ) (سنن أبي داود)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ ، وَلاَ أَحَبُّ إليه العَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ العَشْرِ ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ) (مسند أحمد).

وقد أقسم الله (عز وجل) بعشر ذي الحجة في كتابه الكريم؛ تنويهًا بشأنها ، وإرشادًا لأهميتها ، حيث يقول سبحانه: (وَالفَجْرِ* وَلَيَالٍ عَشْرٍ * والشَّفْعِ وَالوَتْرِ) (الفجر: ١-٣)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في تفسير هذه الآيات: (العشرُ: عَشْرُ النَّحْرِ ، وَالوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ ، وَالشَّفْعُ يَوْمُ النَّحْرِ) (السنن الكبرى للبيهقي)، كما أنها هي الأيام المعلومات التي قال الله تعالى عنها: (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ) (الحج: ٢٨).

وهي أيام يستحب فيها الإكثار من العبادات ، كالصلاة ، والصدقة ، والصيام ، وذكر الله تعالى ؛ ففي ذكر الله تعالى حياة القلوب ، وراحة الصدور ، حيث يقول تعالى: (الذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِالله أَلَّا بذكر اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ) (الرعد: ٢٨)، وكان سيدنا عمر (رضي الله عنه) يُكَبِّرُ فِي قُبَّتِهِ بِمِنًى فَيَسْمَعُهُ أَهْلُ المَسْجِدِ ، فَيُكَبِّرُونَ وَيُكَبِّرُ أَهْلُ الأَسْوَاقِ حَتَّى تَرْتَجَّ مِنًى تَكْبِيرًا ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ (رضي الله عنهما) يُكَبِّرُ بِمِنًى تِلْكَ الأَيَّامَ ، وَخَلْفَ الصَّلَوَاتِ ، وَعَلَى فِرَاشِهِ ، وَفِي فُسْطَاطِهِ وَمَجْلِسِهِ ، وَمَمْشَاهُ) (صحيح البخاري معلقًا).

ومن أفضل أيام العشر يوم عرفة ، الذي أكمل الله (عز وجل) لنا فيه الدين ، حيث يقول تعالى: (اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة: ٣)، وهو يوم الحج الأكبر، ويوم مغفرة الذنوب والعتق من النيران ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالى يُبَاهِي بِهِمُ المَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ) (شعب الإيمان)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ): (إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مَنْ مَلَكَ فِيهِ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ غُفِرَ لَهُ) (مسند أحمد)، والدعاء في يوم عرفة مستجاب ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لا إله إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (سنن الترمذي)، وقد جعل نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) صومه تطوُّعًا لغير الحاج مكفرًا ذنوب سنتين: سنة ماضية وسنة مُقبلة ؛ حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أن يُكفِّرَ السَّنَةَ التِي قَبْلَهُ ، وَالتِي بَعْدَهُ) (سنن أبي داود).

ومن أفضل أيام العشر : يوم النحر ، وهو اليوم العاشر من ذي الحجَّة، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ الله يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ القَرِّ وَهُوَ الذِي يَلِيهِ) (سنن أبي داود).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

فإنَّ العمل الصالح أعم وأوسع من أن نحصره في باب العبادات وحدها ، بل إنه يشمل كل عمل صالح ، فيشمل أداء الفرائض ، والتقرب إلى الله (عز وجل) بالنوافل ، ففي الحديث القدسي يقولُ اللهُ (تبارك وتعالى): (ما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أفضل من أداء ما افترضتُ عليْهِ ، وما يزال يتقرَّبُ عبدي إليَّ بالنَّوافلِ حتَّى أحبَّهُ ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الذي يسمعُ بِهِ ، وبصرَهُ الذي يبصرُ بِهِ ، ويدَهُ التي يبطشُ بِها ، وَلَئِنْ

سَألنِي لَأُعْطِينَّهُ ، وَلَئِنْ دَعَانِي لَأُجِيبنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَني لأعيذنَّهُ) (صحيح البخاري) .

والعمل الصالح يشمل الذكر ، وقراءة القرآن ، والتسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، يقول نبينا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ أَبْوَابَ الخَيْرِ لَكَثِيرَةٌ : التَّسْبِيحُ ، وَالتَّحْمِيدُ ، والتكَّبْيرُ ، والتَّهْلِيلُ، والأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ ، وَتَهْدِي الأَعْمَى ، وَتُدِلُّ المُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَتِهِ ، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ مَعَ اللهِ فَانِ المُسْتَغِيثِ ، وَتَحْمِلُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ ؛ فَهَذَا كُلُّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ) (مسند أحمد).

ويتسع العمل الصالح اتساعًا ليشمل عمارة الدنيا بالدين ، وكل ما فيه صالح البلاد والعباد من بناء المستشفيات، والمدارس ، وتعبيد الطرق، ورعاية اليتيم ، وإطعام الفقراء ، وقضاء حوائج الناس ، وكل ما ينصلح به حال الناس في أمور دينهم ودنياهم.

فحَرِيٌّ بنا أن نعرف لهذه الأيام فضلها ، ونقدِّر لها قدرها ، ونحرص على شكر الله (تعالى) على بُلُوغها في أمْنٍ وعافية بالاجتهاد فيها بالأعمال الصالحة التي يعم نفعها البلاد والعباد.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

* * *

الحقوق والحرمات في خطبة حجة الوداع

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا)(المائدة: ٣)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه ، وعلى آله وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإِنَّ أول ما تطالعنا به خطبة حجة الوداع هو حرمة الدماء والأموال والأعراض ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (...فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا- يوم عرفة-، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا- شهر ذي الحجة-، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا- مكة المكرمة-) (سنن ابن ماجه)، ومن المعلوم أن الشريعة قد حفظت دم وعرض ومال كل إنسان، بغض النظر عن دينه ، أو جنسه ، أو لونه ، حيث يقول (عز وجل): (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالحَقِّ) (الإسراء: ٣٣)، ويقول تعالى: (مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأرض فَكَأَنَّمَا قَتَلَ الناس جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) (المائدة: ٣٢).

وكما حرَّم الإسلام الاعتداء على الأنفس فقد حرم كذلك الاعتداء على الأموال بأي صورة من الصور ، حيث يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ) (النساء: ٢٩).

وكذلك حرم الإسلام الاعتداء على الأعراض بأي وجه من الوجوه، حيث يقول تعالى: (وَالذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا

فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) (الأحزاب: ٥٨)، ويقول سبحانه: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) (الإسراء: ٣٢)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (... وَأَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ) (المعجم الأوسط للطبراني).

وقد عُنيت خطبة حجة الوداع ببيان الحقوق ، ومن أهم هذه الحقوق التي أكدت عليها تنبيهًا على أهميتها ، وتنويهًا بشأنها: حق المساواة بين الناس جميعًا، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، ألا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، إِلَّا بِالتَّقْوَى) (مسند أحمد)، فلا فضل للون أو جنس ، ولا مزية لوطن أو لغة، إنما هو مقياس واحد تتحدد به القيم، ويُعرف به فضل الناس جميعًا ، وهو قوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات: ١٣).

ومن الحقوق التي أكد عليها نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في خطبته: حق المرأة ، فقدْ أوصَى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالمرأةِ تقديرًا لها ، وبيانًا لمكانتِهَا ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، ألا وَحَقُّهِنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إليهنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ) (سنن ابن ماجه).

فقد جاء الإسلام ليقضي على الظلم الذي كان يقع على المرأة في الجاهلية ، وليحافظ على كرامتها الإنسانية التي تضمنتها أحكام الشريعة الإسلامية ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ

الرِّجَال) (سنن أبي داود)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خيرًا) (صحيح مسلم).

ومن أهم الحقوق التي تناولتها خطبة حجة الوداع: حق الميراث؛ فقد أكد نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على ضرورة الالتزام بمنهج الله، وإعطاء كل وارث حقه ، وأن الوصية لا تجوز فيما زاد على الثلث ، فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي ، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ ، وَلاَ يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: (لاَ)، فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ؟ فَقَالَ: (لاَ)، ثُمَّ قَالَ : (الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ – أَوْ كَثِيرٌ – إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا ، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ) (متفق عليه)، وأنه لا وصية لوارث ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللهَ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ المِيرَاثِ ، فَلا تَجُوزُ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ) (سنن ابن ماجه).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

ولا يفوتنا في هذه الأيام المباركة أن نذكِّر بسنة نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في صيام يوم عرفة ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ التِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ التِي بَعْدَهُ) (صحيح مسلم)، كما لا يفوتنا أن ننبه أن من سنته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

الأضحية على القادر المستطيع ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في الأضحية : (... وَإِنَّهُ لَتَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَظْلَافِهَا ، وَأَشْعَارِهَا ، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنْ الله (عَزَّ وَجَلَّ) بِمَكَانٍ ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الأَرْضِ ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا) (سنن ابن ماجه).

اللهم ارزقنا فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين.

*　　*　　*

خطبة عيد الأضحى المبارك١٤٤٢هـ

الحمد لله رب العالمين ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرة وأصيلًا ، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعـد:

فعيد الأضحى فيه الكثير من معاني الفداء والتضحية ، ومن أهمها: ما كان من خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) ، حين رزقه الله تعالى بإسماعيل (عليه السلام) بعد أن بلغ من الكبر عتيًّا ، ثم رأى (عليه السلام) في منامه أنه يذبح ولده الوحيد بعد أن بلغ معه السعي ، وأصبح قرة عين أبيه وسنده ، حيث يقول تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى) (الصافات: ١٠٢)، فما كان من الابن إسماعيل (عليه السلام) إلَّا أن قال : (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) (الصافات: ١٠٢).

ولأن المحنة تأتي بعدها المنحة ، فقد جاءتْ عطاءات الله (عز وجل) متتابعة ، بعد أن أظهر النبيان الكريمان (عليهما السلام) ما في قلبيهما من الاستسلام لأمر الله تعالى دون تردد أو تباطؤ ، فكانت الشهادة الربانية لهما بالإحسان وحسن المراقبة ، وكان الفداء من الله (عز وجل) لإسماعيل (عليه السلام) بذبح عظيم ، حيث يقول تعالى : (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠٣– ١٠٧).

ومن ذلك الحين والأضحية شعيرة عظيمة ، ففيها توسعة على النفس والأهل ، وإكرام الجيران والأقارب والأصدقاء ، والتصدق على الفقراء والمساكين ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عمَلًا أحَبَّ إلى اللهِ (عزَّ وجلَّ) مِنْ هراقةِ دَمٍ ، وإنَّهُ ليَأْتِي يَوْمَ القِيامَةِ بِقُرُونِها وأظْلافِها وأشْعارِها ، وإنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِن اللهِ (عزَّ وجلَّ) بِمَكانٍ قَبْلَ أنْ يَقَعَ على الأرْضِ ، فَطِيبُوا بِها نَفْسًا) (سنن ابن ماجه).

على أننا نؤكد أنه ينبغي أن نجعل من ذبح الأضحية مظهرًا من مظاهر عظمة الإسلام ، وعنوانًا لرقيه وحضارته ، فلا تُذبَح الأضحية في الأماكن العامة ، ولا في مداخل العمارات ، ولا في الشوارع ، ولا أمام المساجد والمستشفيات ؛ مما يتسبب في أذى الناس وضررهم ، وانتشار الأمراض بينهم ، وقد حرم الإسلام الضرر بكل أشكاله وصوره ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ) (مسند أحمد).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن من أهم معاني الأعياد التراحم والتكافل ؛ حيث يقول نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الفقراء والمساكين: (أَغْنُوهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ) (سنن الدارقطني)، فمن وسَّع على محتاج وسَّع الله عليه ، ومن فرَّج عن مسلم فرَّج الله عنه ، يقول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ

كُرْبَةً ، فَرَّجَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ) (صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا) (صحيح البخاري).

تقبل الله منا ومنكم سائر الأعمال وكل عام أنتم بخير.

* * *

ذكر الله .. حقيقته وأثره في ترقية النفس

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) (البقرة: ١٥٢)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ ، وعلى آله وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن ذكر الله (عز وجل) عبادة جليلة ، بها تطمئن القلوب ، وتنشرح الصدور ، حيث يقول سبحانه: (الذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ ألا بذكر اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ * الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) (الرعد: ٢٨،٢٩)، كما أن العبد ينال بذكر الله تعالى معية الله وتأييده وتكريمه ، حيث يقول تعالى في الحديث القدسي : (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ) (سنن ابن ماجه).

والمتأمل في القرآن الكريم يجده يدعونا إلى الإكثار من ذكر الله (عز وجل) على كل حال، حيث يقول الحق سبحانه: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا*وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الأحزاب: ٤١،٤٢)، ويقول تعالى : (وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الأنفال: ٤٥)، ويقول سبحانه وتعالى : (الذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران: ١٩١)، ويقول سبحانه مخاطبًا نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى) (طه: ١٣٠).

وذِكْر اللهِ (عز وجل) حياة حقيقية للإنسان ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ)(صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ) (صحيح مسلم)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، مِائَةَ مَرَّةٍ ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ) (صحيح مسلم).

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لا شك أنَّ ذكر الله تعالى عبادة ميسورة الفعل ، غير أنها مع ذلك عظيمة القدر ، فضائلها أكثر من أن تُعَدَّ أو تُحصَى ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (ألا أنبِّئُكم بخَيرِ أعْمَالكُم وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَليكِكُم، وَأَرْفَعِها فِي درَجَاتِكُم ، وَخَيرٍ لَّكُم مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ ، وَخَيرٍ لَّكُم مِن أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُم ، فَتَضْرِبوا أَعْنَاقَهُم وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُم؟)، قالوا: بلَى يا رسولَ اللهِ ، قال: (ذِكْرُ الله)(سنن الترمذي)، ويقول(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (سَبَقَ المُفَرِّدُونَ)-أي: المتميزون بالدرجات العالية-، قالوا: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال: (الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ) (صحيح مسلم)، وعندما جاء رجل إلى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، يقول: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ ، فَأَنْبِئْنِي مِنْهَا بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ قَالَ: (لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ) (سنن ابن ماجه) .

على أننا نؤكد أن الإنسان إذا حقَّق ذكر الله تعالى فى قلبه ، وردَّده بلسانه ، وطبَّقته جوارحه ؛ استقامت له نفسه ، وقويت مراقبته لربه (عز وجل) في السر والعلانية ؛ مما يسهم فى إتقان العمل ، وترسيخ مكارم الأخلاق ، والوقاية من سيئها ، والإسهام بقوة فى إصلاح المجتمع ورقيِّه.

كما نؤكد أن الذكر الحقيقي لا يكون باللسان وحده دون استحضار القلب لعظمة الخالق ، فالذاكر الحقيقي يدرك أن الله معه يراه ويراقبه، فيجعل جميع حركاته وسكناته ، وكل خطوة يخطوها خالصة لوجهه سبحانه ، مستحضرًا لعظمته ، يرجو رحمته ويخشى عقابه ؛ وبهذا تطمئن القلوب، وتُمحى السيئات ، وتُرفَع الدرجات .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

* * *

مخاطر استباحة المال العام والحق العام

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (قُلْ لَا يَسْتَوِي الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبِيثِ) (المائدة: ١٠٠)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فقد جعل الإسلام حفظ المال أحد الكليات الست ، والمقاصد الكلية السامية التي أحاطها ديننا الحنيف بالعناية والحفظ والرعاية والصيانة ، حيث يحذر الحق سبحانه وتعالى من أكل أموال الناس بالباطل ، فيقول (عز وجل) : (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُواْ أَمْوَالكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا) (النساء: ٢٩، ٣٠)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (وَكُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ) (المعجم الأوسط للطبراني).

ولقد أحاط الإسلامُ المال بسياجات متعددة من الحفظ ، فشرع حد السرقة ، وشرع الضمان ، والكفالة ، والوكالة ، والحَجْر ، كما تضمن حد الحرابة حفظ المال أيضًا ، ونبهنا الشرع الحنيف إلى كتابة الدَّين، والوفاء به ، وبالأمانات ، حيث يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ) (المائدة : ١) ، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ) (مسند أحمد).

والمال إما أن يكون مالاً عامًّا أو خاصًّا ، فالمال العام هو ما تملكه الشعوب من الأعيان والمنافع مما لا يقع تحت ملكية فردية ؛ وحرمة المال العام أشد إثمًا وجُرمًا وخطرًا من حرمة المال الخاص ؛ لكثرة الأنفس والذمم المتعلقة به ، فالأمانة فيه أشد ، والمسئولية فيه أعظم، حيث يقول تعالى: (وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلّ يَوْمَ القِيَامَةِ ثُمّ تُوَفى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) (آل عمران: ١٦١)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَال اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ) (صحيح البخاري) ، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ : وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ) (صحيح مسلم) .

وكما أمر الإسلام بضرورة المحافظة على المال العام، فقد أكد على الحفاظ على الحق العام ، وحذَّر أشد التحذير من استباحته بأي صورة من الصور ، ومن ذلك : الاعتداء على المرافق العامة ، كالطرق العامة ، أو المدارس ، أو المستشفيات ، أو وسائل المواصلات ، أو شبكات المياه ، أو الكهرباء ، أو الصرف الصحي ، وغير ذلك ، فالواجب علينا المحافظة عليها ، وحمايتها ، والعمل على تنميتها وتطويرها ؛ لأنها لنا جميعًا وللأجيال القادمة ، ولأن الذي يعتدي على المال العام يعتدي على الوطن كله ، وعليه إثم كل من له حق في هذا المال.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن مخاطر استباحة المال العام والحق العام كثيرة على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة ، فمضيِّع المال العام والحق العام متعرض للوعيد ، ونزع البركة من دعائه ، وماله ، وصحته ، وأولاده ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللهَ أَبَى عَلَيَّ أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ لَحمًا نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ) (المستدرك للحاكم)، وذكر نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلى السَّمَاءِ : يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَكْسَبُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِّيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ له؟) (صحيح مسلم).

ولله دَرُّ القائل:

جَمَعَ الحَرَامَ إلى الحلَال لِيُكْثِرَهْ دَخَلَ الحَرَامُ عَلَى الحَلَال فَبَعْثَرَهْ

ولا شك أنَّ الاعتداء على أي عين من أعيان الوقف أو استباحتها هي استباحة لمال عام النفع ، وحق عام النفع ، وقفه أناس صالحون على سُبل الخير ؛ مما يجعل الاعتداء على أي عين من أعيان الوقف أو حق من حقوقه جريمة شرعية ووطنية ، كما أن الحفاظ على مال الوقف وأعيانه وحقوقه واجب وأمانة شرعية ووطنية .

ونؤكد أن مستبيح المال العام والحق العام إن نجا من عقاب الدنيا فإنَّه لا يفلت من عقاب الله عز وجل ، قال تعالى: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَال وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (الشعراء: ٨٨، ٨٩)، ويقول تعالى: (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (القلم: ٢٦). اللهم اكفنا بحلالك عن الحرام وأغننا بفضلك عمن سواك .

* * *

جبر الخاطر وأثره على الفرد والمجتمع

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الحج : ٧٧) ، ويقول سبحانه : (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦٣)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فقد جاء الإسلام برسالة جامعة للقيم الفاضلة والمُثُل العليا ، ومن تلك القيم الفاضلة قيمة جبر الخاطر ، فهي قيمة تنبئ عن شرف النفس ، ورقة القلب ، وقد أعلى الله (عز وجل) من شأن هذه القيمة النبيلة، فجعلها صفة من صفاته ، تتعلق باسمه تعالى (الجبار) ، حيث يقول سبحانه: (هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَه إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ)(الحشر: ٢٣)، يجبر الفقر بالغنى ، والمرض بالصِّحة ، قال القرطبي: " هُوَ مِنَ الْجَبْرِ وَهُوَ الْإِصْلَاحُ ، يُقَالُ: جَبَرْتُ الْعَظْمَ فَجَبَرَ ، إِذَا أَصْلَحْتُهُ بَعْدَ الْكَسْرِ ، فَهُوَ فَعَّالٌ مِنْ جَبَرَ إِذَا أَصْلَحَ الْكَسِيرَ وَأَغْنَى الْفَقِيرَ" (تفسير القرطبي)، وكان من دعاء نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اللهمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي ، وَاهْدِنِي ، وَاجْبُرْنِي ، وَارْزُقْنِي) (سنن الترمذي).

كما تجلى الله (عز وجل) على عباده فجبر خواطرهم ، وطيَّب نفوسهم، فهذه أم سيدنا موسى (عليه السلام) حين تفطَّر قلبها على ولدها (عليه السلام) خوفًا عليه ، ردَّه الله (عز وجل) إليها ؛ جبرًا لخاطرها ، حيث يقول سبحانه : (فَرَدَدْنَاهُ إلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ

وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)(القصص: ١٣)، وهذا يعقوب يأتيه الفرج من الله (عز وجل) بعد الشدة والبلاء ، فيرد الله إليه بصره وولديه، حيث يقول تعالى: (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ البَشِيرُ أَلقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَال ألمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (يوسف: ٩٦)، ولما أُخرج نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من وطنه مكة جبر الله تعالى خاطره ، وأوحى إليه في طريقه إلى المدينة قوله (عز وجل): (إِنَّ الذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ) (القصص: ٨٥)، أي: إلى مكة مرة أخرى.

ويتجلَّى خُلُق جبر الخاطر في حياة نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حينما عاد إلى زوجه السيدة خديجة (رضي الله عنها)، وقد ظن أن شرًّا أحاط به، فقالت له تطييبًا لنفسه وجبرًا لخاطره (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كَلَّا وَالله مَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا ؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ) (صحيح البخاري)، وحين لقي نبيُّنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) جابرَ بن عبد الله (رضي الله عنه) منكسرًا لاستشهاد أبيه عبد الله (رضي الله عنه) وترْكه عيالًا ودَيْنًا ، جبر (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خاطر جابر (رضي الله عنه) ، وقال له: (أَفَلا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟ ... مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا (أي : من غير حجاب)، فَقَال: يَا عَبْدِي ، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَال: يَا رَبِّ ، تُحْيِينِي ، فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً ، فقَال الرَّبُّ (عز وجل): إِنَّهُ قَدْ سَبَق مِنِّي أَنَّهُمْ إليها لَا يَرْجِعُونَ) (سنن ابن ماجه).

ويضرب لنا نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أعظم الأمثلة في جبر الخواطر ، حينما جاءه فقراء المهاجرين وقالوا له : يا رسول الله ، ذهب أهل الدُّثور بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ،

ويتصدقون بفُضول أموالهم ، فقال لهم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ...) (صحيح مسلم).

والمتأمل في الشريعة الإسلامية يجد أنها جاءت بجبر خواطر الناس جميعًا، لا سيما الضعفاء منهم ، حيث يقول تعالى : (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) (الضحى: ٩،١٠)، أي: طيِّب خاطرهما ، وأحسن إليهما، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (هلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلَّا بضُعَفَائِكُمْ؟!) (صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى) (صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ) (صحيح البخاري)، وحين سُئِلَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : أَيُّ الأَعْمَال أَفْضَلُ؟ قَال : (أَنْ تُدْخِلَ عَلَى أَخِيكَ المُسْلِمِ سُرُورًا ، أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْعِمَهُ خُبْزًا) (شعب الإيمان للبيهقي)، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَحَبُّ النَّاسِ إلى الله تَعَالى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الأَعْمَال إلى الله تَعَالى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا المَسْجِدِ – يَعْنِي: مَسْجِدَ المَدِينَةِ – شَهْرًا) (المعجم الأوسط للطبراني).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لا شك أنَّ جبر الخاطر قيمة أخلاقية تمتد لتشمل التكافل بين المجتمع كله ، فالإسلام لا يَعْرِف الأنانية أو السلبية ، وإنما يعرف الإخاء الصادق ، ومراعاة مشاعر الناس ، وجبر خواطرهم ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الجَسَدِ ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى) (صحيح مسلم)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ) (صحيح مسلم).

على أننا نؤكد أن جبر الخاطر كما يكون بالفعل ، فقد يكون بكلمة حسنة ، أو بدعاء صادق ، أو بنصيحة خالصة ، أو بابتسامة طيبة ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لا تَحقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئًا ، وَلَو أنْ تَلقَى أخَاكَ بوجهٍ طَلْقٍ) (صحيح مسلم)، أي : مبتسم مستبشر ، كما نؤكد أن جبر الخاطر له تأثير عظيم في تأليف القلوب ، ووحدة الصف ، وترابط المجتمع.

اللهم ارزقنا فعل الخيرات وترك المنكرات
وحب المساكين وجبر الخواطر .

* * *

الوفاء وحفظ الجميل

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (وَلا تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ) (البقرة: ٢٣٧)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن الوفاء وحفظ الجميل من القيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة التي دعا إليها ديننا الحنيف ، وقد مدح اللهُ (عز وجل) الأنبياء (عليهم السلام) لاتصافهم بهذا الخلق النبيل ، حيث يقول (عز وجل) في شأن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) : (وَإِبْرَاهِيمَ الذِي وَفَّى) (النجم: ٣٧)، ويقول سبحانه في شأن سيدنا يحيى (عليه السلام): (وَبَرًّا بِوَالدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا) (مريم: ١٤).

ولا شك أنَّ أولى الناس بالوفاء وحفظ الجميل لهما الوالدان ، فهما أصحاب الفضل التام على أبنائهما ، وقد أمر الله (عز وجل) بالإحسان إلى الوالدين ، والوفاء لهما ، حيث يقول سبحانه- مذكِّرًا الأبناء بجميل آبائهم بعدما بلغ الآباء مرحلة الكِبَر والضعف : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (الإسراء: ٢٤،٢٣)، كما يتصل الوفاء للوالدين وحفظ الجميل لهما بعد موتهما ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ) (صحيح مسلم).

ومن أرقى صور الوفاء: الوفاء بين الزوجين بأداء الحقوق ، وحسن العشرة ، وحفظ المعروف ، حيث يقول تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم : ٢١) ، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) (صحيح مسلم)،والمتأمل في حياة نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يرى أنَّه المثل الأعلى في الوفاء لأهله ، ومن ذلك ما كان لزوجته السيدة خديجة (رضي الله عنها)، من حفظ جميلها في مواساته ونصرته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فقد ظل نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وفيًّا لذكراها حتى بعد موتها ، فكان يكثر الثناء عليها ، والاستغفار لها ، وإكرام صديقاتها ، فقد جَاءَتْ عَجُوزٌ إلى النَّبِي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فأحسن (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) استقبالها ، وأكرمها ، فسألت السيدةُ عائشة (رضي الله عنها) نبيَّنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن ذلك ، فقال لها: (إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ حُسْنَ العَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ) (المستدرك للحاكم).

ومن صور الوفاء: الوفاء لأصحاب الفضل ، ويتجلَّى ذلك في موقف نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حين طيَّب خاطر الأنصار بعد قسمة الغنائم يوم حنين قائلًا لهم: (...فَوَ الذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الهجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا ، وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ ، اللهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ) (مسند أحمد)، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في حق الأنصار: (إِنَّ الأَنْصَارَ قَدْ قَضَوُا الذِي عَلَيْهِمْ ، وَبَقِيَ الذِي عَلَيْكُمْ ، فَأَحْسِنُوا إلى مُحْسِنِهِمْ، وَتَجاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ) (مسند أحمد)، وكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول

عن سيدنا أبي بكر (رضي الله عنه): (إِنَّ أمنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ) (صحيح البخاري).

بل إن خلق الوفاء مع أصحاب الفضل يمتد ليشمل المخالفين ، وذلك بحفظ الجميل لهم ، ومجازاتهم عليه ، ويتجلَّى ذلك حين تذكَّر نبيُّنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يوم بدر المُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ ، ذلك الرجل الذي دخل النبيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مكة في جواره بعد عودته من رحلة الطائف ، فيقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَوْ كَانَ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ) (صحيح البخاري)، يقصد: أُسَارَى بَدر من المشركين.

ومن صور الوفاء وحفظ الجميل: الوفاء للمعلِّم ، ويكون ذلك باحترامه وتوقيره ، والدعاء له ، حيث يقول الإمام أبو حنيفة (رحمه الله): ما صليتُ منذ مات شيخي حماد، إلَّا استغفرتُ له مع والدي ، وإني لأَستغفر لمن تعلَّمت منه علمًا أو علَّمته علمًا) (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي)، ويقول الإمام أحمد (رحمه الله) : (مَا بِتُّ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَّا وَأَنَا أَدْعُو لِلشَّافِعِيِّ) (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء).

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن من أعظم صور الوفاء وحفظ الجميل: الوفاء للوطن، فلا شك أنَّه من شيم أهل المروءة والنُّبل ، يقول الأصمعي: " إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده ، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ، وتشوُّقه إلى

إخوانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه" (كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني)، ويتجلَّى ذلك الخلق النبيل حينما وقف نبيُّنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ليلة الهجرة ، ونظر إلى مكة بعد إيذاء أهلها له ولأصحابه وتكذيبهم له ، وقال: (عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ ، وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ) (مسند أحمد)، وحين دعا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) للمدينة، فقال: (اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ) (صحيح البخاري).

فما أحوجنا إلى أن نتحلَّى بخلق الوفاء وحفظ الجميل ، فهو خلق عظيم ، به تسمو النفوس ، ويكمل الإيمان ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (خِيَارُكُم يَومَ القِيَامةِ الموفُونَ المطِيبُونَ) (مسند أحمد)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ أَكْمَلَ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) (مسند أحمد).

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق واحفظ مصرنا وسائر بلاد العالمين.

❊ ❊ ❊

السلام مع النفس والكون (*)

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (واللهُ يَدْعُو إلى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (يونس: ٢٥)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن السلام قيمة إنسانية راقية ، حرص ديننا الحنيف على ترسيخها، فديننا دين السلام ، ونبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نبي السلام ، وتحيتنا في الدنيا سلام ، والجنة هي دار السلام ، وتحية أهل الجنة في الجنة السلام، وتحية الملائكة لهم سلام ، حيث يقول (عز وجل): (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة: ٢٠٨)، ويقول سبحانه: (لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ)(الأنعام: ١٢٧)، ويقول تعالى: (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) (إبرهيم: ٢٣)، ويقول (جل وعلا): (وَالمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) (الرعد:٢٣، ٢٤).

ولمكانة السلام وشرفه سمَّى ربُّنا (عز وجل) نفسه (السلام)، فقال سبحانه: (هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَه إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الحشر: ٢٣)،

* هذه الخطبة مأخوذة من عدة مقالات لمعالي أ.د/ محمد مختار جمعة وزير الأوقاف في هذا الموضوع.

وكان من دعاء نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عقب كل صلاة: (اللهمَّ أَنْتَ السَّلَامُ ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يا ذَا الجَلال وَالإِكْرَامِ) (سنن أبي داود) .

إن مفهوم السلام في الإسلام عام وشامل ، والمسلم الحقيقي متسامح مع نفسه ، في سلام حقيقي مع أهله وذويه ، وجيرانه ، وأصدقائه ، ومع الناس أجمعين ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) (سنن النسائي)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَال الذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ) (صحيح البخاري)، وعندما سُئل (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن امرأة صوّامة قوّامة إلَّا أنها تؤذي جيرانها بِلِسَانِهَا؟ فَقَال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لاَ خَيْرَ فِيهَا ، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ) (مسند البزار).

على أننا نؤكد أن هذا السلام لا يتحقق إلَّا من خلال نفوس صافية تحكمها ضوابط إيمانية وإنسانية راقية ، من أهمها : أن يكون للإنسان وجه واحد ظاهره كباطنه ، لا أن يكون من ذوي الوجهين الذين يلقى الواحد منهم هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الوَجْهَيْنِ الذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ) (صحيح البخاري).

ومنها: أن يكون الإنسان محبًّا للخير للناس أجمعين ، رحيمًا ، ودودًا، سهلًا ، هينًا ، لينًا ، يألف ويؤلف ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيه مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) (صحيح البخاري)، وأن يكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ

مَغَاليقَ لِلْخَيْرِ ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ الله مَفَاتِيحَ الخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ الله مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ) (سنن ابن ماجه).

ومنها: أن يؤمن كل إنسان بحق الآخر في الحياة الكريمة الآمنة المستقرة ، فالله (عز وجل) خلق الناس مختلفين ، حيث يقول تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (يونس: ٩٩)، وأن يؤمن بأن هناك قواسم إنسانية مشتركة أجمعت عليها جميع الشرائع السماوية ، يؤدي الالتزام بها إلى أن تسود الطمأنينة والاستقرار والسلام النفسي والمجتمعي بين الجميع.

❊ ❊ ❊

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن المسلم يعيش في سلام مع الكون كله ، فلا يؤذي حيوانًا ، ولا يحرق نباتًا ، ولا يتلف شجرًا ولا ثمرًا ، إنما هو بنّاء معطاء ، يحب الخير لا الشر، والبناء لا الهدم ، والتعمير لا التخريب ولا الإفساد في الأرض، وقد كان نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يؤصّل لهذا السلام الكوني ، فهو بحق رحمة للعالمين ، حيث يقول تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧)، ويتجلّى ذلك حين دخل (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بُسْتَانًا لِرَجُلٍ من الأَنْصَارِ فَإِذَا فِيهِ جَمَلٌ ، فَلَمَّا رَأَى الجملُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَمَسَحَ رَأْسَهُ فَسَكَتَ ، فقَال : (مَنْ رَبُّ هَذَا الجَمَلِ ، لِمَنْ هَذَا الجَمَلُ؟)، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَال: لِي يَا رَسُولَ اللهِ ، فَقَال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ): (أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ البَهِيمَـةِ التِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَـا؟ فَإِنَّـهُ شَـكَا إِليَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ) (سنن أبي داود) أي : تتعبه .

فما أجمل أن يعيش الإنسان في سلام مع نفسه ، وسلام مع أسرته ، وسلام مع عائلته ، وسلام مع جيرانه ، وسلام مع زملائه ، وسلام مع أصدقائه ، وسلام مع المجتمع ، وسلام مع الكون كله.

اللهم اجعلنا من أهل السلام ، وأدخلنا برحمتك الجنة دار السلام.

❋ ❋ ❋

قيمة الاحترام

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإنَّ التمسك بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة من أهم ركائز قيام الدول والحضارات ، ولا يمكن أن تُبنَى الحضارات بناءً سديدًا ، وتستقر ، وتتفوَّق على غيرها إلَّا إذا قامت على الأخلاق والقيم ؛ حيث يقول تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله) (آل عمران: ١١٠)، وإنَّما تتماسك المجتمعات، وتتآلف ، ويّقْوَى رِبَاطُها من خلال احترامها لقيمها وامتثالها لها .

ولله در القائل:

وَإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْـلَاقُ مَا بَقِيَتْ   فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُـوا

ولا شك أنَّ قيمة الاحترام من أهم هذه القيم الإنسانية النبيلة التي دعا إليها الإسلام ، والتي يتمنى كل إنسان أن ينتسب إليها أو يوصف بها، ولقد دعا ديننا الحنيف إلى التحلي بهذه القيمة في جميع صورها، ومنها: احترام الذات بأن يرعى الإنسانُ مروءَته ، ويصون نفسه عن فعل ما يعاب به أو يُذَمّ ، فيجتنب مواطن الريبة والتهمة ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ) (صحيح مسلم)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ) (سنن ابن ماجه)، ويقول القاضي الجرجاني:

وما زلتُ منحازًا بعرضيَ جانبًا   من الذلِّ أعتدُّ الصيانةَ مَغنمَا
يقولون هذا مَشْربٌ قلتُ قد أرى   ولكنّ نفسَ الحرِّ تَحتَملَ الظَّمَا
وما كلُّ برقٍ لاحَ لي يستفزُّني   ولا كلُّ من في الأرضِ أرضاه مُنَعّما

ويقول آخر:

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلا يُرَى لَهُ   عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

ويقول عنترة العبسي:

فأرى مغانمَ لو أشاء حويتها   يصدُّني عنها الحياء وتكرُّمي

ومنها: احترام المختلف دينيًّا أو عرقيًّا أو ثقافيًّا ، باحترام حقوقه المادية والمعنوية ، فللآخر حق احترام جسده وماله وممتلكاته ، وحريته وكرامته ، وعقيدته ، والإسلام دين يحترم الإنسان ، ويدعو إلى احترامه وتكريمه ، حيث يقول تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) (الإسراء: ٧٠)، ويقول سبحانه: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة: ٢٥٦)، ويقول تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إليهمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة: ٨)، ويتجلَّى ذلك حين مرَّت جَنازة ، فقام لها نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فقيل: يَا رَسُولَ الله إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ ، قَالَ: (إِذَا رَأَيْتُمُ الجِنَازَةَ، فَقُومُوا) (صحيح البخاري).

ومنها: احترام الكبير سنًّا أو مقامًا ، وتوقيره ، وتقديره ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا) (سنن الترمذي)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهمْ) (سنن أبي داود)، وقد تجلت تلك القيمة حين أمر نبيُّنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الصحابة (رضي الله عنهم) بالقيام إلى سيدنا سعد بن معاذ (رضي الله

عنه) وقال لهم : (قُومُوا إلى سَيِّدِكُمْ) (سنن أبي داود) ، وقال سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : أبو بكر سيدُنا ، وأعتق سيدَنا – يعني : بلالًا (رضي الله عنه)، وسأل نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أصحابه (رضي الله عنهم) عن شجرة مَثَلُها مَثَلُ المسلم ، فقَالَ : (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟) قَالَ: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ الله ، قَالَ: (هِيَ النَّخْلَةُ) (صحيح البخاري)، فكانت إجابة ابن عمر (رضي الله عنهما) صحيحة ، ولكنه مع صغر سنّه استحيا أن يجيب النبيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في حضرة الصحابة الكرام وفيهم الشيخان أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)؛ احترامًا لهما ، ولكبار الصحابة (رضي الله عنهم).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن من أرقى صور الاحترام : احترام المعلم ، وتوقيره ، والتواضع له والوفاء بحقه ، لا سيما أن الإسلام قد أعلى قدره ، وكرمه ، حيث قرن الله (عز وجل) شهادته وشهادة الملائكة بشهادة العلماء، فقال تعالى: (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَه إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَه إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) (آل عمران: ١٨)،ويقول سبحانه : (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ) (المجادلة: ١١)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (وَإِنَّ العَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ

وَالحِيتَانُ فِي المَاءِ ، وَفَضْلُ العَالمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ ، إنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ) (سنن الترمذي)، وعَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: رَكِبَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، فَأَخَذَ ابْنَ عَبَّاسٍ بِرِكَابِهِ ، فَقَالَ لَهُ : لا تَفْعَلْ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا ، فَقَالَ زَيْدٌ : أَرِنِي يَدَكَ، فَأَخْرَجَ يَدَهُ ، فَقَبَّلَهَا زَيْدٌ وَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (المجالسة وجواهر العلم للدينوري).

ويقول الشاعر:

قُـم لِلـمُعَلّـِمِ وَفِّـهِ التَّبجيـلا ... كادَ المُعَلِّمُ أَن يَكـونَ رَسـولا

أَعَلِمتَ أَشرَفَ أَو أَجَلَّ مِنَ الذي ... يَبني وَيُنـشِئُ أَنفُسًا وَعُقـولا

فما أحوجنا إلى أن تسود قيمة الاحترام في مجتمعاتنا ؛ وتتحول إلى ثقافة عامة يتعايش بها الصغير والكبير ، والرجل والمرأة ، ويحيا بها المجتمع ويرتقي ؛ حتى يعم التآلف ، والرقي ، والتقدم ، والاستقرار.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق ، واحفظ بلادنا وسائر بلاد العالمين.

* * *

حق الوطن والمشاركة في بنائه

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللهُ آمِنِينَ) (يوسف: ٩٩)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن حق الوطن على أبنائه من أوجب الحقوق وآكدها ، والمشاركة في بنائه ورقيِّه من أعظم المهمات وأشرفها ؛ فالوطن أحد الكليات الست التي أحاطها الشرع الحنيف بسياجات عظيمة من الحفظ والصيانة ، فالحُر الكريم يفتدي وطنه بالنفس والنفيس ، ولله در القائل:

وَللأَوْطَانِ فِي دَمِ كُلِّ حُـرٍّ ... يَدٌ سَـلَفَتْ وَدَيْنٌ مُسْتَحَقُّ

ومما لا شك فيه أن من يفهم دينه فهمًا صحيحًا يدرك أن العلاقة بين الدين والدولة ليست علاقة عداء ولن تكون ، وأن فهم صحيح الدين يسهم وبقوة في بناء واستقرار دولة عصرية حديثة تقوم على أسس وطنية راسخة ، كما أن الدولة الرشيدة لا يمكن أن تصطدم بالفطرة الإنسانية التي تبحث عن الإيمان الرشيد الصحيح.

وقد جسَّد نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) معنى حب الوطن في قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حين أخرجه قومه من مكة المكرمة ، فخاطبها قائلا: (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِليَّ ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ، مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ) (سنن الترمذي).

على أن حب الوطن ليس مجرد كلماتٍ تقال ، أو شعاراتٍ ترفع ؛ إنما

هو سلوكٌ وتضحياتٌ ، وحقوق تؤدى ، من أعلاها وأشرفها: التضحية في سبيل الوطن وحمايته من أي خطر يتهدده ، أو يقوض بنيانه ، أو يزعزع أركانه ، أو يروع مواطنيه ، فحماية الأوطان من صميم مقاصد الأديان، وهذا سبيل الشرفاء ، والعظماء الأوفياء ، فالوطنية الحقيقية فداء ، وتضحية ، واعتزاز بالوطن وترابه ، واحترام لعَلَمِهِ ونشيده وسائر مقدراته ومؤسساته .

الوطنية الحقيقية تقتضي الحفاظ على المال العام ، فهو ركيزة أساسية للدولة ، تدير به شئونها ، وتقيم مؤسساتها، وتقدم خدماتها ، وترتقي بأفرادها ومجتمعها ، وتسهم من خلاله في بناء حضارتها ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ رِجَالا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَال اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ) (صحيح البخاري)، والمال العام أحق بالحفاظ عليه.

الوطنية الحقيقية تقتضي دعم منتجات الوطن صناعة، وزراعة، وتجارة، وتسويقًا؛ بما ينمي قيمة الولاء والانتماء للوطن ، ويحقق الرخاء الاقتصادي لأبنائه ؛ فكلما بذلنا الجهد عملًا وإتقانًا عظمنا من قدرات بلدنا الاقتصادية ، وكلما أقبلنا على منتجات الوطن بيعًا وشراءً وتجارةً كلما أعطينا المنتجين والمصنعين الفرصة لرفع القدرة التنافسية، وأسهمنا في توفير المزيد من فرص العمل لأبنائنا.

كما أنها تقتضي احترام النظام العام، والالتزام بالقوانين؛ إذ لا بد لكل فئة تتعايش في مجتمع واحد من بعض الأنظمة والقواعد العادلة التي تضبط سلوك الأفراد ، وتحفظ على الإنسان حقوقه ، ويُلزم فيها بأداء ما عليه من واجبات ، وبدون النظام لن ينال النَّاسُ حَقوقهم ، ولن يتحقق

لهم العَدلُ ؛ فالالتزام بالقوانين سلوك ديني وحضاري ، ودعامة لابد منها للحفاظ على كيان الدول واستقرارها ونمائها.

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن الوطنية الحقيقية تقتضي المشاركة بإخلاص في بناء الوطن، ويكون ذلك من خلال إتقان العمل ، وجودة الإنتاج ؛ بما يؤدي إلى تقدم الوطن وازدهاره ، فإن ديننا الحنيف لا يطلب من الناس مجرد العمل ؛ إنما يطلب إتقانه وإحسانه ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) (مسند أبي يعلى)، ويقول الأصمعي:"إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده ، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ، وتشوُّقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه" (كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني).

فما أحوجنا إلى تضافر جهود المجتمع كله في بناء الوطن؛ فالوطن لكل أبنائه ، وهو بهم وبجهدهم وعرقهم جميعًا ، كل في مجاله وميدانه، الجندي والشرطي في حفاظهما على أمن الوطن وأمانه ، والطبيب في مشفاه ، والفلاح في حقله ، والعامل في مصنعه ، وهكذا في سائر الصنائع والحرف والواجبات ، حيث يقول سبحانه: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ) (المائدة: ٢).

اللهم احفظ مصرنا وسائر بلاد العالمين.

* * *

المواساة في القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) (الحجر: ٩٧-٩٩)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهم صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ .

وبعد:

فإن المواساة من القيم الإسلامية النبيلة ، والأخلاق الإنسانية الفاضلة التي يُعين بها الإنسان غيره على التغلب على أحزانه وآلامه ، والمتأمل في كتاب الله (عز وجل) يجد أنه قد أولى قيمة المواساة عناية خاصة، بل إن الله سبحانه تولَّى بنفسه مواساة أنبيائه وأوليائه وأصفيائه ، فهذا سيد الخلق (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حين آذاه قومه ولاقى منهم الصدود والإعراض واساه ربه (عز وجل) بقوله: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (الطور: ٤٨)، أي : اصبر لقضاء ربك فيما حمَّلك من رسالته ، وفيما ابتلاك به من قومك ، فإنك بأعيننا نراك ونحفظك ، ونحوطك ، ونحرسك.

وحين تفطَّر قلبه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حزنًا على إعراض قومه عن الاستجابة لنداء الحق، واساه ربنا (عز وجل) بقوله: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) (الكهف: ٦)، وبقوله سبحانه: (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (الشعراء: ٣)، أي: لعلك مُهلِكٌ نفسَك حزنًا بسبب توليهم وإعراضهم عن الحق ، فهذه الآيات وأمثالها نزلت مواساةً وتطييبًا لخاطر نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، كما واساه ربه سبحانه موجهًا إياه ألا يُحمِّل نفسه فوق طاقتها ، فقال تعالى:

(فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البلاغ وَعَلَيْنَا الحساب) (الرعد: ٤٠)، وقال سبحانه: (لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) (الغاشية: ٢٢)، فلا تُكلِّف نفسك تكليفًا شاقًّا مُضْنيًا ، فما عليك إلَّا البلاغ والبيان ، أما هداية التوفيق فمن الله وحده ، حيث يقول سبحانه: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ) (القصص: ٥٦).

كما أن المتأمل في القرآن الكريم يرى مواساة الله (عز وجل) لأم موسى (عليه السلام)، حين أُمِرت أن تلقي ولدها (عليه السلام) في اليم، فتفطَّر قلبُها خوفًا عليه ، فواساها الله (عز وجل) وطمأن فؤادها ، حيث يقول تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إلى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (القصص: ٧)، ثم واساها (سبحانه وتعالى) حين رد ولدها (عليه السلام) إليها ردًّا جميلًا ، حيث يقول (جل شأنه) : (فَرَدَدْنَاهُ إلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (القصص: ١٣).

كما جاءت المواساة في القرآن الكريم للسيدة مريم (عليها السلام)، حين اشتد عليها الأمر ، فقالت: (يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَّنْسِيًّا) (مريم: ٢٣)، فأمر الله تعالى من يناديها ليطمئن قلبها ، حيث يقول سبحانه: (فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا) (مريم: ٢٣-٢٥).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن صور المواساة كثيرة، منها: المواساة بالمال ، والمواساة بالنصيحة ، والمواساة بالمشاركة الوجدانية ، والمواساة بالدعاء ، ولقد ذكر لنا القرآن الكريم مواساة الرجل الصالح لسيدنا موسى (عليه السلام) حين خرج خائفًا من قومه ، وقصَّ عليه ما كان من أمر فرعون معه ، فواساه قائلًا: (لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ) (القصص: ٢٥)، كما ذكر لنا القرآن الكريم مواساة الملائكة (عليهم السلام) لسيدنا لوط (عليه السلام) حين خاف من قومه ، قائلين له: (لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ) (العنكبوت : ٣٣).

ولقد وجه نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى التحلِّي بهذه القيمة النبيلة، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَن كانَ معهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ به علَى مَن لا ظَهْرَ له ، وَمَن كانَ له فَضْلٌ مِن زَادٍ فَلْيَعُدْ به علَى مَن لا زَادَ له) (صحيح مسلم) ، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ القِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ) (صحيح مسلم)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا يَزَالُ اللهُ فِي حَاجَةِ الْعَبْدِ مَا دَامَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ) (المعجم الكبير للطبراني).

وحين استقر نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في المدينة المنورة ، أتاه المهاجرون فَقَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ لَقَدْ كَفَوْنَا المُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي المَهْنَإِ ، حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا مَا دَعَوْتُمُ الله لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ) (سنن الترمذي).

كما أثنى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على الأشعريين لتحلِّيهم بهذه الفضيلة حين قال: (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ) (صحيح البخاري).

فما أحوجنا إلى أن نتحلَّى بخلق المواساة بيننا ؛ حتى تشيع روح الأخوة ، وتقوى العلاقات في المجتمع ، وتسود الألفة والمحبة بينهم.

اللهم ألِّف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا يا أرحم الراحمين.

❊ ❊ ❊

إعمال العقل في فهم النص
(الإمام أبو حنيفة ومدرسته الفقهية أنموذجًا)

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الألباب)(ص: ٢٩)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فقد اهتم الإسلام بالعقل اهتمامًا بالغًا ؛ وذلك لأن العقل مناط التكليف ، كما أن حفظ العقل مقصد عظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية، وأحد الكليات الست التي اتفقت كافة الشرائع السماوية على حفظها.

وقد أرشدنا ربنا (عز وجل) إلى استخدام نعمة العقل في التفكر والتأمل في ظواهر الكون للوقوف على عظمته (سبحانه وتعالى) ووحدانيته ، حيث يقول تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الألباب) (آل عمران: ١٩٠)، ويقول سبحانه: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ ألسِنَتِكُمْ وَألوانكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) (الروم: ٢٢)، كما أن المتتبع للبيان القرآني يلاحظ الحض على التعقل والتفكر بصيغ متعددة ، نحو قوله تعالى: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (البقرة : ٤٤)، (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (البقرة : ٧٣)، (لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) (الأنعام: ٩٨)،(لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (الروم: ٢٨)،(لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الزمر: ٤٢).

والمتأمل في الشريعة الإسلامية يجد أنها قد حثت العلماء على حسن إعمال العقول بالاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية،

بما ييسر للناس أمور حياتهم ، وتنصلح به أحوال معاشهم ومعادهم ، مع الحفاظ على ثوابت الشرع الشريف وعدم المساس بها ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ ، فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَأَخْطَأَ ، فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ) (سنن أبي داود).

ومما لا شك فيه أن الإمام أبا حنيفة النعمان (رحمه الله) – صاحب المذهب الحنفي المشهور – كان رائد مدرسة إعمال العقل في فهم النصوص ، فقد رزقه اللهُ تعالى عقلًا واعيًا ، فلم يكن مقلدًا ، ولم يقف عند ظاهر النص ؛ بل نظر إلى مراميه ومقاصده ؛ لذا أصبح الإمام (رحمه الله) رائد مدرسة العقل في التعامل مع النصوص ، حتى قال الخطيب البغدادي : "النَّاس عِيال على أبي حنيفة في القياس والاستحسان" (تاريخ بغداد).

وقد راعى الإمام أبو حنيفة (رحمه الله) في مدرسته الفقهية الزمان، والمكان ، وأحوال الناس ، وعاداتهم ، وطبائعهم ، فكان مما توسع فيه من الأدلة أدلة القياس ، والاستحسان ، والعرف ، معتمدًا في ذلك على حديث سيدنا معاذ (رضي الله عنه)، حين قال له النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لما بعثَه إلى اليمن: (كَيْفَ تَقْضِي؟)، فَقَالَ: أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ الله ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ الله؟، قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: (فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟)، قَالَ : أَجْتَهِدُ رَأْيِي ، قَالَ: الحَمْدُ لِله الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ الله) (سنن الترمذي)، وغيره من الأحاديث الحاثَّة على إعمال العقل في فهم النص في إطار المقاصد العامة للشريعة الإسلامية .

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن الرسالات والشرائع السماوية جاءت لسعادة الناس لا لشقائهم ، حيث يقول سبحانه: (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)(البقرة: ١٨٥)، ويقول الحق سبحانه: (طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) (طه: ١، ٢)، ويقول تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج: ٧٨)، (ومَا خُيِّرَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ) (صحيح البخاري)؛ ولذلك فإنه لا غنى عن إعمال العقل في فهم صحيح النص وفي تطبيقاته، وفي إنزال الحكم الشرعي على مناطه من الواقع العملي.

على أننا نؤكد أنه ينبغي على الفقيه أن يُلم بأحوال ومستجدات عصره وواقع الناس وعاداتهم وتقاليدهم ؛ ليكون قادرًا على إنزال الفتوى على مظانها ، وظروف عصرها ، لا على مظان وأحوال عصور أخرى مختلفة ، فمن أفتى الناس دون النظر إلى واقع زمانهم ، ومكانهم، وطبيعة حياتهم وعصرهم ، عرَّضهم للعنَت والمشقة ، في حين أن شريعتنا الغراء قائمة على اليسر والسعة ورفع الحرج.

اللهم فقهنا في ديننا، واحفظ بلادنا وسائر بلاد العالمين.

* * *

فضل الشهادة ومنزلة الشهيد
وفلسفة الحرب في الإسلام

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُـمْ أَجْرُهُمْ وَنُـورُهُـمْ) (الحديد: ١٩) ، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ .

وبعد:

فإن الشهادة في سبيل الله مكانة عالية ، وغاية نبيلة سامية ، يصطفي الله (تعالى) لها من يشاء من عباده ، حيث يقول (عز وجل): (وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ) (آل عمران : ١٤٠)، ويقول سبحانه : (وَمَنْ يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء : ٦٩)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لوَدِدتُ أنِّي أُقتَلُ في سبيلِ اللهِ ثمَّ أُحيَا ، ثمَّ أُقتَلُ ثمَّ أُحيَا ، ثمَّ أُقتَلُ ثمَّ أُحيَا ، ثمَّ أُقتَلُ) (صحيح البخاري).

والشهيد الحق الذي مات دفاعًا عن أرضه ، وعرضه ، ووطنه ، تُغفر ذنوبُه بأول قطرة من دمه ، ويرى مقعده في الجنة ، ويُشفع في سبعين من أهل بيته ، فصفقة الشهداء مع ربهم مضمونة ، حيث يقول الحق سبحانه: (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالهُمْ بِأَنّ لَهُمُ الجَنّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ) (التوبة : ١١١)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكْلَمُ- أي: يُجرَح- أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ – وَالله أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ – إلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ) (صحيح البخاري).

والشهداء وإن فارقوا الحياة التي نعيشها إلا أنهم عند ربهم (عز وجل) أحياء ، يفرحون بعطائه ، ويستبشرون بفضله ، حيث يقول تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ المُؤْمِنِين) (آل عمران : ١٦٩-١٧١)، ويقول سبحانه : (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) (البقرة: ١٥٤).

وللشهادة صور عديدة ، من أجلِّها وأعظمها : الشهادة في سبيل الوطن؛ فداءً له، وحمايةً لترابه ، ودفاعًا عن أهله ، ابتغاء مرضاة الله (عز وجل)، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ أَوْ دُونَ دَمِهِ أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) (سنن أبي داود)، وجَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَال: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَال: (فَلَا تُعْطِهِ مَالكَ) قَال: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَال: (قَاتِلْهُ) قَال: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَال: (فَأَنْتَ شَهِيدٌ) قَال: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَال: (هُوَ فِي النَّارِ) (صحيح مسلم).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن الحرب شُرعت في الإسلام لرد الظلم والعدوان ، فالإسلام ليس متشوقًا للقتال ولا لسفك الدماء ، بل إنه يكفُّ عنها ما وجد إلى ذلك سبيلًا ، حيث يقول الحق سبحانه: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) (الحج: ٣٩)، ويقول تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ)(البقرة: ١٩٠)، ويقول (عز وجل): (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ)(الأنفال: ٦١)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ ، وَسَلُوا اللهَ العَافِيَةَ ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا) (صحيح البخاري).

بل إن الإسلام في الحرب التي هي ردّ للاعتداء قد نهى نهيًا صريحًا عن تخريب العامر ، وهدم البنيان ، وكان أصحاب نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يوصون قادة جيوشهم ألا يقطعوا شجرًا ، وألا يحرقوا زرعًا ، وألا يتعرضوا للزُّراع في مزارعهم ، ولا الرهبان في صوامعهم ، وألا يقتلوا امرأة ، ولا طفلًا ، ولا شيخًا فانيًا ما داموا لم يشتركوا في القتال ، فعَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) بَعَثَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى الشَّامِ ، فَمَشَى مَعَهُ يُشَيِّعُهُ ، قَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ : إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ مَاشِيًا وَأَنَا رَاكِبٌ ، فَقَالَ: (إِنَّكَ خَرَجْتَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنِّي أَحْتَسِبُ فِي مَشْيِي هَذَا مَعَكَ. ثُمَّ أَوْصَاهُ ، فَقَالَ: لَا تَقْتُلُوا صَبِيًّا ، وَلَا امْرَأَةً ، وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا ، وَلَا مَرِيضًا ، وَلَا رَاهِبًا ، وَلَا تَقْطَعُوا مُثْمِرًا ، وَلَا تُخْرِبُوا عَامِرًا، وَلَا تَذْبَحُوا بَعِيرًا وَلَا بَقَرَةً إِلَّا لِمَأْكَلٍ ، وَلَا تُغْرِقُوا نَخْلًا ، وَلَا تُحْرِقُوهُ) (السنن الكبرى للبيهقي).

فما أحوجنا أن نكون في جانب السلام والبناء والتعمير ، لا جانب الاحتراب والتدمير ، فكل ما يدعو إلى السلام والبناء وعمارة الكون يتوافق مع الرسالات والشرائع السماوية ، وكل ما يدعو إلى القتل والتخريب والتدمير يتناقض مع سائر الشرائع السماوية ؛ بل يتناقض مع كل الأخلاق والقيم الإنسانية والأعراف والمواثيق الدولية ؛ مما يتطلب منا جميعًا العمل معًا على ترسيخ وتأصيل كل معاني السلام ، والوقوف في وجه دعاة الحرب والدمار ؛ من أجل سعادة البشرية جمعاء وتحقيق أمنها وسلامها.

اللهم احفظ بلادنا وبلاد العالمين من كل سوء ،

وأدم علينا نعمة الأمن والأمان .

* * *

النبي القدوة (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
في بيته وحياته

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة: ١٢٨)، وأَشهدُ أَنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أَنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن الله (عز وجل) اصطفى نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على الخلق جميعًا ، فشرح صدره ، وأعلى شأنه ، ورفع ذكره ، ومنَّ عليه بكل صفات الكمال البشري ، فكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أكملَ الناس خُلقًا، وأطيبهم نفسًا ، وأطهرَهم قلبًا ، وأسماهم فكرًا ، وأحسنَهم معاملة ، حيث يقول الحق سبحانه : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم : ٤).

والمتأمل في حياة نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يجد أنه كان بحق نِعم القدوة للإنسانية جمعاء ، حيث يقول (عز وجل) : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: ٢١)، فتراه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نعمَ الزوج ، ونعمَ الأب ، ونعمَ الجد ، لا سيما أنه القائل (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) (سنن ابن ماجه).

وما أجمل أن نقف على شيء من أخلاقه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في بيته ، وحسن عشرته لأهله ، فها هي زوجه السيدة خديجة (رضي الله عنها) تصفه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فتقول: (إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ

الكَلَّ ، وَتكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ) (صحيح البخاري)، وها هو (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يحفظ لها عهدها بعد وفاتها ؛ ومن ذلك أن عجوزًا كانت تزوره (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فيقوم لها ويكرم وفادتها ، فلما سألته السيدة عائشة عن سر إكرامه لها ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا عَلَى عَهْدِ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ حُسْنَ العَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ) (المستدرك للحاكم)، وكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول عن أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها): (مَا أَبْدَلَنِي الله عَزّ وَجَلّ خَيْرًا مِنْهَا ، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النّاسُ، وَصَدّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا) (مسند أحمد).

كما كان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يعين أهله ويساعدهم في حاجتهم، حيث تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها): (كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ) (مسند أحمد)، وسُئلت السيدة عائشة (رضي الله عنها): ما كان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يصنع في بيته؟ قالت: (كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ- فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاَةُ خَرَجَ إلى الصَّلَاَةِ) (صحيح البخاري)، بل كان نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حريصًا على إدخال السرور على أهل بيته بتخصيص وقت لهم ، ومن ذلك أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كانَ إذَا دخل اللَّيْلُ يسير مع السيدة عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أحيانًا يَتَحَدَّثُ معهَا.

وكان لبناته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نصيب عظيم من إحسانه وإكرامه، فقد كانت ابنته السيدة فاطمة (رضي الله عنها)، إذا دخلت عليه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قام إليها ، فأخذ بيدها ، فقبَّلها ، وأجلسها مجلسه ، وكان

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إذا دخل عليها قامت إليه ، فأخذت بيده ، وقبَّلته ، وأجلسته في مجلسها ، وتقول السيدة عائشة (رضي الله عنها): (كُنَّ أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنده ، فأقبلت فاطمة (رضي الله عنها) تمشي ما تُخطئ مِشيتها من مشيةِ رسول الله شيئًا ، فلما رآها رحَّب بها ، وقال (مَرْحَبًا يَا ابنَتِي) ، ثم أجلسها بجواره (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)(صحيح مسلم).

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

كان نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نعم الجد لأحفاده ، يكرمهم ، ويلاطفهم ، ويحنو عليهم ، ومن ذلك أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (كان يخطُبُ فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ (رضى الله عنهما)، عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ وَيَقُومَانِ ، فَنَزَلَ فَأَخَذَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ الله وَرَسُولُهُ : (إِنَّمَا أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) (التغابن: ١٥)، فاحتضَنَهما ، وأخَذَهما معَه إلى المِنبرِ) (سنن أبي داود)، ورأى نبيُّنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سيدَنا الحسين (رضي الله عنه) يلعب مع غلمان في الطريق ، فبسط (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يديه ، فجعل الحسين (رضي الله عنه) يفِرُّ ها هُنا وَها هُنا ، ويضاحِكُه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حتَّى أخذه ، فقبَّلَه ، وقال: (حُسَيْن منِّي ، وأَنا من حُسَيْن ، أحبَّ اللهُ من أحبَّ حُسَيْنًا) (سنن ابن ماجه).

وكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُصلّي بالناس ذات يوم ، فجاءته حفيدته السيدة أُمامة (رضي الله عنها)؛ فكان يحملها بين يديه إذا كان واقفًا، ويضعها على الأرض إذا سجد، كما كان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يلاعب زينب بنت زوجته السيدة أم سلمة (رضي الله عنها)، وهو يقول: (يَا زَيْنَبُ، يَا زُوَيْنِبُ، مِرَارًا) (الأحاديث المختارة للضياء المقدسي).

فما أحوجنا إلى التأسي بنبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والاقتداء به في جميع شئون حياته ، فقد كان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أرحم الخلق بالخلق، وأكرمهم ، وأصدقهم ، وأعدلهم ، وأشجعهم ، وذلك التأسي والاقتداء من دلائل محبته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حيث يقول تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَحِيمٌ)(آل عمران: ٣١).

اللهم ارزقنا حسن التأسي بنبيك (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

* * *

النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) معلمًا ومربيًا

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ) (آل عمران: ١٥٩)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلى آله وصحبِهِ أجمعين ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

وبعــد:

فقد كان نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) المثل الأعلى للبشرية في سمو التربية ، وحسن التعليم، فكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) معلمًا رحيمًا ، ومربيًا حكيمًا ، يأخذ بالرفق ، ويعلِّم بالحسنى ، لا سيما وهو القائل (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا ، وَلا مُتَعَنِّتًا ، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا، وَمُيَسِّرًا) ، وهو القائل (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلا شَانَهُ) (صحيح مسلم).

والمتدبر في سيرة نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يجد أنه خير معلم لأصحابه (رضي الله عنهم)، وللبشرية جمعاء ؛ وأنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أرحم الخلق بالخلق ، وأرأف الناس بمن يعلمهم ويؤدبهم ويوجههم، فهذا معاوية بن الحَكَمِ (رضي الله عنه)، يقول: بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ الله، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقُلْتُ : وَاثُكْلَ أُمَّاهُ ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إليَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصْمِتُونِي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي ، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ ، وَالله مَا قَهَرَنِي ، وَلا ضَرَبَنِي ، وَلا

شَتَمَنِي ، قَالَ: (إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ ، وَالتَّكْبِيرُ ، وَالتَّهْلِيلُ ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ...) (صحيح مسلم).

وعن أبي أمامة (رضي الله عنه)، قَالَ: (إِن فَتى شابًّا أتى النبِي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فقال: يا رسول الله ، ائذن لي بِالزنا ، فأقبل القوم عليه، فزجروه ، وقالوا: مَهْ ، مَهْ ، فقال: ادنه ، فدنا منه قريبًا ، قال: فجلس ، قال: أَتُحِبُّهُ لأمِّكَ؟ قال: لا والله ، جعلني الله فداءك ، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ ، قال: أَفتحبُّه لابْنَتِكَ؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك ، قال: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ، قال: أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قال: لا والله ، جعلني الله فداءك ، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأخَوَاتِهِمْ ، قال: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قال: لا والله ، جعلني الله فداءك ، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ، قال: أَفَتُحِبُّهُ لخَالَتِكَ؟ قال: لا والله ، جعلني الله فداءك ، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ ، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ . فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ) (مسند أحمد) .

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن المتأمل في حياة نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يرى أنه كان يحرص على تنويع أساليبه الدعوية والتعليمية ، ويستخدم سائر مهارات التواصل الدعوي ؛ للنفاذ إلى عقل المتلقي وقلبه ، فتارة يستخدم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لغة الأرقام للتقريب الذهني ، على حد قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ): (ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليه مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إلا للهِ ، وأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعودَ في الكُفرِ بعدَ إِذْ أَنقذَهُ اللهُ مِنْهُ ؛ كَما يَكرَهُ أَنْ يُلْقى فِي النَّارِ) (صحيح البخاري).

وتارة يعلِّم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من خلال ضرب الأمثلة التوضيحية؛ ومنها قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالحِ ، وجَلِيسِ السُّوءِ ، كَحامِلِ المِسْكِ ، ونافِخِ الكِيرِ ، فَحامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يَحْذِيَكَ، وإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، ونافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيابَكَ ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبيثَةً) (صحيح مسلم).

وتارة يستخدم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أسلوب طرح الأسئلة ؛ لتشويق المتلقي ، واستدعاء انتباهه ، ومن ذلك قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَتَدْرُونَ مَنِ المُفْلِسُ؟ قَالوا: المُفلِسُ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَال هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) (صحيح مسلم) .

كما كان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يتخير الأيام والأوقات المناسبة للتعليم والتوجيه ، تنشيطًا لأذهان المتلقين ، ودفعًا للملل عنهم ، حيث يقول سيدنا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : (كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا) (صحيح البخاري).

فما أحوجنا إلى أن نقتدي بأخلاق نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مُعَلِّمِين ومُتَعَلِّمين ؛ نشرًا لرسالته، وبيانًا لهديه وسنته .

اللهم ارزقنا العلم والأدب ،

واهدنا إلى التحلي بأخلاق نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

❊ ❊ ❊

المرافق العامة
بين تعظيم النفع ومخاطر التعدي

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (هُو أَنْشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود: ٦١)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن الدين الإسلامي دين البناء والإعمار ، والصلاح والإصلاح ، وقد جاءت رسالات السماء داعيةً إلى تلك المبادئ السامية ، حيث يقول الحق سبحانه: (وَقَال مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ) (الأعراف: ١٤٢)، ويقول تعالى على لسان سيدنا شعيب (عليه السلام) : (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إلا بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِليْهِ أُنِيبُ) (هود: ٨٨).

ومما لا شك فيه أن الحفاظ على المرافق العامة التي تقوم الدولة ببنائها وتطويرها صورة من صور الإصلاح الذي يعود نفعه على المجتمع كله؛ ذلك أن حق الانتفاع بها ليس ملكًا لأحد بعينه ، ولا لفئة دون فئة، وإنما هو ملك للمجتمع كله ، فكما ننتفع جميعًا بالمرافق العامة يجب أن نحافظ عليها جميعًا ، وأن نغلَّ يد المفسدين عن أي محاولة لإفسادها أو تعطيلها .

ويجب على كل من يقوم على المرافق العامة أن يؤدي عمله بإخلاص وإتقان ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) (مسند أبي يعلى)، كما أن المنتفع بها

يجب أن يستخدمها على وجه لا ضرر فيه ولا إفساد ولا إسراف ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) (مسند أحمد)، وبذلك يتحقق التعاون بين أبناء المجتمع على الخير والنفع العام، حيث يقول تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ) (المائدة: ٢).

إن الحفاظ على المرافق العامة واجب شرعي ووطني وإنساني ، وهذا الواجب لا يقف عند حدود الحفاظ عليها فحسب ؛ بل يمتد إلى العمل على تعظيمها ، والإسهام في تطويرها ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ : مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا ، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا ، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا ، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا ، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا ، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ) (مسند البزار).

فمعنى قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كَرَى نَهْرًا) أي: وسَّعه ، ويقاس على ذلك كل مجرى مائي ، فواجبنا أن نطهره وأن نوسعه ، لا أن نعتدي عليه ولا أن نضيقه ، وكذلك الحال في أمر الطريق العام الذي ينبغي أن نحافظ عليه ، لا أن نعتدي عليه أو نضيقه على المارة أو نلقي عليه المخلفات ونحوها.

ومن لم يكن لديه القدرة على تعظيم نفع هذه المرافق العامة ، فعليه أن يحث غيره على فعل ذلك ، امتثالًا لقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ الدَّالَ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ) (سنن الترمذي)، فإن لم يستطع فليكف يده عن إفساد شيء منها ، حيث يقول (عز وجل) : (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ) (القصص: ٧٧)، ويقول تعالى: (وَاللهُ لَا يُحِبُّ الفَسَادَ) (البقرة:

٢٠٥)، كما أن علينا جميعًا أن نحرص على الحفاظ عليها ، وترشيد استخدامنا لها حسب الضرورة ، قَالَ عُمَرُ بن الخطاب (رضي الله عنه): (إنِّي أَنْزَلَتْ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللهِ مَنْزِلَةَ مَالِ الْيَتِيمِ ، إنِ اسْتَغْنَيْت عنه اسْتَعْفَفْت ، وَإِنِ افْتَقَرْت أَكَلَتْ بِالْمَعْرُوفِ) (مصنف ابن أبي شيبة).

ونؤكد أن جميع المرافق والممتلكات العامة ، كالمؤسسات ، والمدارس ، والمستشفيات ، والطرق ، ووسائل المواصلات أمانة في أعناقنا سنحاسب عليها جميعًا ، فلا يجوز العبث بها ، أو إتلافها بأي صورة من صور الإتلاف أو الإفساد أو سوء الاستخدام .

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لا شك أنَّ الحفاظ على المرافق العامة وعدم التعدي عليها من سبل الخير، وطرق الفلاح ؛ لذلك فقد جعل نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كف الأذى من شعب الإيمان ، وإحدى أنواع الصدقات ، ومن أسباب دخول الجنة، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ : لا إله إلا الله ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ) (صحيح مسلم)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) (سنن النسائي) ، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، كَانَتْ تُؤْذِي المُسْلِمِينَ) (صحيح مسلم) ، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فإنَّها صَدَقَةٌ مِنْكَ علَى نَفْسِكَ) (صحيح مسلم).

فما أحوجنا إلى الوعي بأهمية المرافق العامة ، ووجوب الحفاظ عليها؛ من خلال غرس الشعور بالمسئولية الدينية والوطنية للحفاظ على الوطن، وحماية مقدراته ، وتنمية موارده ، حيث يقول تعالى: (فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الأعراف: ٣٥).

اللهم احفظ مصر وسائر بلاد العالمين.

❊ ❊ ❊

مفهوم العبادة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) (آل عمران: ٥١)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإنَّ للعبادة مكانة جليلة، ومنزلة عالية ، فهي الغاية الكبرى التي من أجلها خلق الله (عز وجل) الخلق ، حيث يقول الحق سبحانه: (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦)، ويقول سبحانه: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إليه أَنَّهُ لا إِلَه إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء: ٢٥)، وهي وظيفة الإنسان في حياته كلها ، يقول الحسن البصري (رحمه الله): (إنَّ الله لمْ يجعلْ لعملِ المؤمنِ أَجلاً دونَ الموتِ، ثم قرأ: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) (الحجر:٩٩) (لطائف المعارف لابن رجب)، وقال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (البينة: ٥).

والمتأمل في الشريعة الإسلامية يجد أن مفهوم العبادة له معنيان؛ الأول: عام واسع ، يشمل أبواب الخير كلها، كطلَبِ الرِّزقِ ، وحُسن الخُلُق، والصِّدقِ في الحديثِ ، والعفو عن المخطئ ، والإصلاح بين الناس ، والإنفاق على الأهل ، إلى غير ذلك مِن أفعال البر، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱلله فَسَوْفَ

نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: ١١٤)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) (صحيح البخاري).

كما أن عمارة الأرض من خلال الزراعة ، والصناعة ، وإتقان العمل، بما يعود نفعه على المجتمع كله، ويكون سببًا في رقي الوطن وتقدمه، من العبادات التي يحبها الله (عز وجل)، وهي مطلوب الله (عز وجل) من الإنسان، حيث يقول تعالى: (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود: ٦١)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَحَبُّ النَّاسِ إِلى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلى اللهِ سُرُور تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا ، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِليَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ ، شَهْرًا ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ الله عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ ، مَلَأَ الله عَزَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ الله (عَزَّ وَجَلَّ) قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ) (المعجم الأوسط للطبراني).

والثاني: خاص يطلق على العبادة بمفهومها الخاص، فيشمل إقامة شعائر الإسلام ، وأداء أركانه من الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج، حيث يقول تعالى: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لله قَانِتِينَ) (البقرة: ٢٣٨)، ويقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٨٣)،

ويقول (عز وجل) : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ الله) (المزمل: ٢٠)، ويقول سبحانه: (وَلِله عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إليه سَبِيلًا) (آل عمران: ٩٧).

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن الشخصية السوية هي التي تُوازِن بَيْنَ أداء فرائض الله (عز وجل) من صلاة وصيام وزكاة وحج فريضة لمن استطاع إلى ذلك سبيلًا ، وبين عمارة الكون والتحلِّي بمكارم الأخلاق.

كما نؤكد أن العبادات بمعناها الخاص لا تؤتي ثمرتها إلَّا إذا أثَّرت في أخلاق الإنسان وسلوكه ، حيث يقول الله (عز وجل): (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ) (العنكبوت: ٤٥)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَصْخَبْ ، فَإِنْ شَاتَمَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ) (صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأخلاق) (الأدب المفرد للبخاري)، فمن زاد عليك في الخُلُق زاد عليك في فهم صحيح الدين.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

* * *

أحوال الفرج والشدة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) (إبراهيم: ٧)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فمن سنن الله تعالى في خلقه أن جعل الحياة دائرة بين الشدة والفرج، والضيق والسعة ، والحزن والسرور ، وأهل الإيمان هم الذين يكونون في هذه الأحوال كلها بين الصبر والشكر ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (عَجَبًا لِأَمْرِ المُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ – وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا المُؤْمِنِ– إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) (صحيح مسلم).

ومن جميل أفعال الله تعالى أنه (سبحانه) يأتي بالفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر ، حيث يقول تعالى : (فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا) (الشرح: ٥ ، ٦)، فإذا ضاق الأمر اتسع ، ولن يغلب عسر يُسْرَيْن ، وليس بعد الشدة إلا الفرج ، ولا بعد العسر إلا اليسر ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (وإن الفَرَجَ مع الكَرْبِ ، وَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا) (مسند أحمد).

والمتأمل في سِيَر الأنبياء (عليهم السلام) يجد هذا المعنى متجليًا ، فهذا سيدنا يعقوب (عليه والسلام) يفقد أحب أولاده إليه سيدنا يوسف (عليه السلام)، ثم يفقد ابنه الثاني بعد سنين ، حتى فقد بصره من شدة بكائه وحزنه على فراق ولديه ، قال تعالى : (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ

فَهُوَ كَظِيمٌ) (يوسف: ٨٤) ، غير أنه لم يفقد الأمل ، حيث قال كما حكى القرآن الكريم على لسانه: (يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إلاَّ القَوْمُ الكافِرُونَ) (يوسف: ٨٧)، ويأتيه الفرج من الله (عز وجل) بعد الشدة والبلاء ، فيرد الله إليه بصره وولديه ، حيث يقول تعالى: (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ البَشِيرُ أَلقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَال ألمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (يوسف: ٩٦).

وقد نجى الله تعالى نبيه يونس (عليه السلام) من ظلمات الليل، والبحر، وبطن الحوت ، فتحول العسر يسرًا ، والضيق فرجًا ، حيث يقول تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إله إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي المُؤْمِنِينَ) (الأنبياء: ٨٨،٨٧).

ويرزق الله تعالى سيدنا زكريا (عليه السلام) بالولد بعدما كبرت سنه ، ورَقَّ عظمه ، وهَزُل لحمه ، واشتعل رأسه شيبًا ، وأجاب دعاءه إذ دعاه، (قَال رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ المَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) (آل عمران: ٣٩،٣٨).

والمتدبر في نصوص الشريعة الإسلامية يجد أن الله (عز وجل) قد جعل للفرج أبوابًا ومفاتيح ، منها : لزوم التقوى ، واللجوء إلى الله سبحانه بالدعاء ، وذكر الله سبحانه ، حيث يقول تعالى : (وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (الطلاق: ٣،٢)،

ويقول سبحانه : (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) (النمل: ٦٢)، ويقول تعالى: (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) (يوسف: ١١٠)، وكان نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يدعو بهذه الكلمات عِندَ الكربِ: (لا إله إلا الله العظيمُ الحليمُ ، لا إله إلا الله ربُّ العرشِ العظيمِ ، لا إله إلا الله ربُّ السماواتِ وربُّ الأرض رب العرشِ الكريمِ) (متفق عليه)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ أَوْ سَقَمٌ أَوْ شِدَّةٌ أَوْ أَزَلٌ أَوْ لَأْوَاءٌ فَقَالَ: اللهُ اللهُ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَهُ كُشِفَ عَنْهُ) (شعب الإيمان للبيهقي).

❊ ❊ ❊

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

ما أجمل أن يديم الإنسان ذكر الله تعالى في حال الشدة والفرج، وحال البلاء والعافية ، ولا يكون من الذين حذرنا القرآن الكريم من أفعالهم ، حيث نسوا ذكر الله تعالى حال العافية ، ولم يشكروا نعمه ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى محذرًا من أفعالهم : (وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إليه ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إليه مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِله أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) (الزمر: ٨)، ويقول تعالى: (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إليه ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) (الروم: ٣٣)، ويقول سبحانه: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إلى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ

كَفُورًا) (الإسراء: ٦٧)، ويقول سبحانه: (وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (يونس: ١٢)، ويقول سبحانه: (قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (الأنعام: ٦٣)، فهذه الآيات تصور أحوال الذين يتضرعون إلى الله تعالى بالدعاء عند البلاء والشدة ، فإذا كشف الله عنهم الضر ورفع عنهم البلاء ، عادوا إلى ما كانوا عليه من أحوالهم السيئة.

فما أحوجنا إلى شكر نعم الله (عز وجل) عند الرخاء ، والصبر عند البلاء والابتلاء ، وإدامة ذكره سبحانه في السراء والضراء ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكَرْبِ، فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ) (سنن الترمذي)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (تَعرَّفْ إلى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُك في الشدَّةِ) (المستدرك للحاكم) ، ويقول أبو الدرداء (رضي الله عنه) : ادع الله يوم سرائك يستجب لك يوم ضرائك .

اللهم فرج هم كل مهموم ، وارزقنا شكر نعمك وآلائك.

* * *

الأسرة سكن ومودة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (هُوَ الذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إليها) (الأعراف: ١٨٩)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن الأسرة أساس المجتمع ، ونواة بنائه ، وبتماسكها واستقرارها يكون تماسك المجتمع واستقراره ؛ لذلك عني الإسلام ببناء الأسرة عناية كبيرة بما يحقق السكن والمودة والرحمة بين جميع أفرادها، حيث يقول تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم: ٢١).

والمتأمل في الآية الكريمة يجد أن الله (عز وجل) بيَّن أن بناء الأسرة من آياته العظيمة ، فجعل سبحانه الزواج سكنًا ، وذلك لأن الرجل يسكن فيه إلى زوجه ، والمرأة تسكن فيه إلى زوجها ، فقد جعل الحق سبحانه وتعالى المودة والرحمة من أسس بناء الأسرة ، فالمودة : صفة تبعث على حسن المعاملة ، فيحتمل كل من الزوجين ما قد يَنِدُّ من الآخر ، أو تختلف فيه بعض الطبائع، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لا يَفْرَكُ مؤمنٌ مؤمنةً ؛ إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا ، رَضِيَ مِنهَا آخَرَ) (صحيح مسلم)، وبذلك تكون الأسرة قائمة على معاني حسن الخلق ، وجميل العشرة ،

والرأفة ، وفي ظلال هذه الأسرة المستقرة المتماسكة تنمو الخلال الطيبة ، وتنشأ الذرية الصالحة ؛ فتنتشر السعادة في جنبات البيت.

ولتحقيق السكن والمودة في الأسرة ينبغي التحلي بأمور ، منها : المعاملة الطيبة ، والمعاشرة بالمعروف ، حيث يقول تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ) (النساء: ١٩)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) (صحيح مسلم)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا أَفَادَ عَبْدٌ بَعْدَ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ زَوْجٍ مُؤْمِنَةٍ : إِذَا نَظَرَ إليها سَرَّتْهُ ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ) (المعجم الأوسط للطبراني).

ومنها: إنفاق الزوج على أسرته ، بتوفير المأكل والمشرب والملبس، حيث يقول تعالى: (وَعَلَى المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ) (البقرة: ٢٣٣)، ويقول سبحانه: (لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ) (الطلاق: ٧)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غِنًى ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ) (صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ) (السنن الكبرى للنسائي).

ومنها: حفظ الأسرار بين الزوجين ، فكلا الزوجين ستر وسكن للآخر ، وإفشاء الأسرار لا يرضاه دين ، ولا خلق قويم ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ من أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ : الرَّجُلَ يُفْضِي إلى امْرَأَتِهِ ، وتُفْضِي إليه ، ثم يَنْشُرُ سِرَّهَا) (صحيح مسلم).

ومنها : المشاركة في تربية الأبناء ، وتنشئتهم تنشئة سوية ، فلا يقتصر دور الزوجين على رعاية الأبناء بتقديم الطعام والشراب والأمور المادية

فقط ، بل تعظم هذه الرعاية ببناء القيم والأخلاق في نفوسهم ؛ مما يؤهلهم للقيام بدورهم في رفعة المجتمع وتقدمه ، ويكونون بذلك قرة أعين لآبائهم وأمهاتهم في الدنيا والآخرة ، حيث يقول سبحانه : (وَالذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (الفرقان: ٧٤)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) (صحيح مسلم)، وكما تُعنى الأسرة بالأبناء يجب أن تعنى بحقوق الآباء، حيث يقول الحق سبحانه: (وَقَضَى رَبُّكَ ألا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالدَيْنِ إِحْسَانًا) (الإسراء: ٢٣)، فيتحقق الأمن والسكينة والسعادة لكل أفراد الأسرة.

ومنها: المشاورة بين أفراد الأسرة في أمور الحياة ؛ وذلك مما يُشعر كل فرد من أفراد الأسرة بدوره وأهميته ، وقد شاور نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) زوجَه السيدةَ أم سلمة (رضي الله عنها) في صلح الحديبية ، ووافقها ورضي رأيها ، وكان الخير في مشورتها (رضي الله عنها) (صحيح البخاري).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لا شك أنَّ لأهل الزوجين دورًا كبيرًا في الحفاظ على كيان الأسرة، واستقرارها ، وذلك من خلال دعم أواصر الحب والاحترام والسكن والمودة بينهما ، واحترام خصوصياتهما ، واحتواء الخلافات بإبداء

النصح والإرشاد لهما ، حيث يقول تعالى: (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا التِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا)(الإسراء: ٥٣)، ويقول (عز وجل) : (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ الله بَيْنَهُمَا إِنَّ الله كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) (النساء: ٣٥)، فما بالكم بآبائنا وبناتنا ، وذوي القربى منا ، فما أحوجنا إلى أن نحقق السكن والمودة في بيوتنا ، حتى يسود الحب والتآلف والاستقرار في المجتمع كله.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا.

* * *

ركائز الأمن المجتمعي

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: (الذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) (الأنعام: ٨٢)، وأَشهدُ أَنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلى آله وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن نعمة الأمن من أعظم النعم التي امتنَّ الله (عز وجل) بها على عباده، حيث يقول الحق سبحانه: (لإِيلَافِ قُرَيْشٍ* إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ * الذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) (قريش: ١– ٤)، ويقول سبحانه: (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آَمِنًا يُجْبَى إليهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)(القصص: ٥٧)، ويقول تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آَمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ الله يَكْفُرُونَ) (العنكبوت: ٦٧)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا) (سنن الترمذي).

ومما لا شك فيه أن الأمن عمل مجتمعي يشترك فيه كل أبناء الوطن، حيث لا يمكن لأي منهم أن يوفر الأمن لنفسه وأسرته بمعزل عن أمن المجتمع، فالناس في مجتمعاتهم ودولهم أشبه بركاب السفينة التي لا يمكن أن تنجو ببعضهم دون بعض ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ الله والواقِعِ فيها ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا

علَى سَفِينَةٍ ، فأَصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها ، فَكانَ الذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ ، فقالوا: لو أنَّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا، فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وإنْ أخَذُوا علَى أيْدِيهِمْ نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا) (صحيح البخاري).

ولهذا الأمن المجتمعي ركائز ومقومات ، منها: تقوية الجانب الإيماني الذي يحقق الطمأنينة في المجتمع ، ويحميه من التطرف والانحرافات الفكرية ، حيث يقول الحق سبحانه: (الذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ) (الرعد: ٢٨)، فالإيمان بالله (عز وجل) هو الذي يحقق الأمن الداخلي لأفراد المجتمع مما ينعكس على أمن المجتمع كله.

ومنها: الجانب الاقتصادي الذي يقوم على العمل والإنتاج والإتقان؛ لذلك فإن ديننا الحنيف حث على العمل، وعلى إتقانه وإحسانه ، حيث يقول سبحانه: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ) (التوبة: ١٠٥)، ويقول (عز وجل) : (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ) (القصص: ٧٧)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) (مسند أبي يعلى) ، وبذلك يتحقق الأمن ، ويستقر المجتمع.

ومنها: ترسيخ قيم التكافل والتراحم بين أبناء المجتمع، وقد أولى ديننا الحنيف هذا الجانب عناية خاصة، ففرض الزكاة، وحثَّ على الصدقات، وشرع الوقف وشجع عليه، حيث يقول الحق سبحانه: (مَثَلُ الذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ واللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ واللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)(البقرة:

٢٦١)، ويقول جل وعلا: (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (البقرة: ٢٧٢)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا ، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)(صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ)، قال أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه): (حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي الفَضْلِ) (سنن أبي داود).

ومن أهم ركائز الأمن المجتمعي ترسيخ مبدأ العدل والمساواة بين الناس جميعًا حتى مع المخالف ، قال تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (المائدة : ٨) ، فالناس سواسية كأسنان المشط، والمجتمع الآمن الراقي لا تمييز بين أبنائه على أساس اللون أو العرق، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى) (مسند أحمد)، ولا يكون التفاضل بين أفراد المجتمع إلا على أساس القدرات والطاقات، ووفق ما يبذله الفرد من جهود تفيد المجتمع.

❊ ❊ ❊

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لا شك أن تحقيق الأمن البيئي من أهم ركائز الأمن المجتمعي ، بتنمية البيئة ، وحمايتها من أية أضرار أو مخاطر ، حيث يقول (عز وجل): (هُوَ أَنْشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود : ٦١)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا، وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا ، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا دَابَّةٌ ، وَلَا شَيْءٌ ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً) (صحيح مسلم)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إله إلا الله ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ) (صحيح مسلم).

فما أحوجنا إلى تضافر جميع الجهود من أجل تحقيق الأمن المجتمعي ، والحفاظ عليه ، من خلال تكامل جميع مؤسسات الدولة ، من جيش ، وشرطة ، وقضاء ، وأسرة ، وتعليم ، ومؤسسات دينية وثقافية ومدنية ؛ ليتحقق الأمن لكل أبناء المجتمع بجهودهم متضامنين.

اللهم أدم علينا وعلى مصرنا العزيزة وسائر بلاد العالمين نعمة الأمن والأمان .

*   *   *

إنسانية الحضارة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) (النساء: ١) ، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

وبعد:

فقد أقام الإسلامُ حضارةً بلغت بالقيم الإنسانية أوج كمالها، ورسمت للبشرية طريق المحبة والإخاء والعدل والمساواة ، من خلال منظومة أخلاقية وحضارية من شأنها أن تجمع ولا تفرق ، وتبني ولا تهدم؛ ليتحقق الأمن والسلام والخير للناس جميعًا.

وقد استمدت الحضارة الإسلامية قِيمَها الإنسانية من القرآن الكريم والسنة النبوية؛ فهما حافلان بالقيم الإنسانية العظيمة، حيث يقول الحق سبحانه: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: ١٣)، فالإنسان مكرَّم بتكريم الله له، بغض النظر عن عِرقِه، أو لونه، أو دينه، يقول (عز وجل) : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) (الإسراء:٧٠)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (كُلُّكُمْ لِآدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ) (شعب الإيمان للبيهقي)، وحينما مرَّت بنبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) جنازة ، فقام لها (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ ، فَقَالَ : (أَلَيْسَتْ نَفْسًا) (صحيح البخاري).

ومن مظاهر إنسانية الحضارة الإسلامية: إقرارها لمبدأ حرية الاعتقاد بشكل صريح لا يقبل التأويل ، وحرية إقامة الشعائر، وحماية دور العبادة

للجميع ، ورفضها لكل أشكال الإكراه والإرهاب، حيث يقول (عز وجل): (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة: ٢٥٦)، ويقول سبحانه : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (يونس: ٩٩)، ويقول تعالى: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) (الغاشية : ٢٢، ٢٣)، ويقول سبحانه : (إِنْ عَلَيْكَ إلا البَلاغُ) (الشورى: ٤٨).

ومن أهم جوانبها الإنسانية: الرحمة بالضعفاء ، واحترام كبار السن ، وإعطاء ذوي الهمم حقوقهم كاملة غير منقوصة ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّمَا يَنْصُرُ الله هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ ، وَصَلاتِهِمْ، وَإِخْلاصِهِم) (سنن النسائي)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنا، ويُوَقِّرْ كَبِيرَنا) (سنن الترمذي).

وعندما مَرَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بِشَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، يَسْأَلُ عَلَى أَبْوَابِ النَّاسِ، فَقَالَ: (مَا أَنْصَفْنَاكَ إِنْ كُنَّا أَخَذْنَا مِنْكَ الْجِزْيَةَ فِي شَبِيبَتِكَ، ثُمَّ ضَيَّعْنَاكَ فِي كِبَرِكَ. قَالَ: ثُمَّ أَجْرَى عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا يُصْلِحُهُ) (الأموال لابن زنجويه)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) (سنن الترمذي).

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن إنسانية الحضارة الإسلامية لم تقف عند حدود التعامل مع البشر ، بل امتدت لتشمل التعامل الإنساني مع الحيوان ، ولا أدل على ذلك

من أن نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تحركت مشاعره حين دخل حائِطًا لرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، فإذا جمل قد حنَّ إليه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تذرف عيناه بالدمع مما يفعله به صاحبه ، فمسح ذِفْراه فسكتَ ، فقال: (مَنْ رَبُّ هَذَا الجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الجَمَلُ؟)، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَال: لِي يَا رَسُولَ اللهِ ، فَقَال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ البَهِيمَـةِ التِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَـا؟ فَإِنَّهُ شَكَا إليَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ) (سنن أبي داود) أي: تتعبه .

كما رأى نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)(حُمَّرَةً "طائرًا يشبه العصفور" معَها فرخانِ صغيران لها، قد أُخِذ منها فرخاها)، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَن فَجَّعَ هذِهِ بولدِها؟ رُدُّوا وَلَدَها إِلَيْهَا) (سنن أبي داود)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا ، فَلَمْ تُطْعِمْهَا ، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ) (صحيح البخاري)، فما أحوج البشرية إلى تحقيق هذه المبادئ والقيم الإنسانية التي تميزت بها حضارتنا الإسلامية عبر التاريخ .

اللهم اجعل مصرنا سخاءً رخاءً وسائر بلاد العالمين.

❊ ❊ ❊

مواجهة الفساد
مسئولية دينية ووطنية ومجتمعية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم : (وَلا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ) (القصص: ٧٧)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن الفساد ظاهرة سلبية تهدر طاقات الأفراد والدول، وتقف عقبةً في سبيل البناء والتنمية ؛ لذلك جاءت الشرائع السماوية متفقة على التحذير من الفساد بكل صوره وأشكاله ؛ حيث يقول الحق سبحانه على لسان سيدنا صالح (عليه السلام) : (وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (البقرة : ٦٠)، ويقول سبحانه على لسان سيدنا شعيب (عليه السلام) : (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (هود: ٨٥) ويقول تعالى على لسان سيدنا موسى مخاطبًا أخاه هارون (عليهما السلام) : (وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ) (الأعراف: ١٤٢) ويقول سبحانه: (وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (البقرة: ٦٠)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (فَأَمَّا مَن ابْتَغَى وَجْهَ اللهِ، وَأَطَاعَ الإِمَامَ ، وَأَنْفَقَ الكَرِيمَةَ ، وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ ، وَاجْتَنَبَ الفَسَادَ ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ) (سنن أبي داود).

والفساد له صور متعددة ، من أخطرها ما يتعلق بالانحرافات المالية والإدارية ، كالتعدي على المال العام ، والتقصير في أداء الواجب الوظيفي، والمحسوبية ، والرشوة ، والغش ، فهذا كله من أبواب أكل السحت ، وأكل أموال الناس بالباطل ، حيث يقول (عز وجل) : (وَلَا تَأْكُلُوا

أَمْوَالكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ) (البقرة: ١٨٨)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لعنةُ اللهِ على الرّاشِي والمُرْتَشِي) (سنن ابن ماجه)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَال اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ) (صحيح البخاري) ، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ) (مسند أحمد).

ومما لا شك فيه أن مواجهة الفساد تُعَدُّ مسئولية دينية ووطنية ومجتمعية، فالمسئولية الدينية تنطلق من إصلاح النفس ، وتربيتها على تقوى الله ومراقبته فى السر والعلانية ، حيث يقول الحق سبحانه : (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الحديد: ٤)، ويقول (عز وجل) : (إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء: ١)، أما المسئولية الوطنية فتقتضي تعزيز قيم الولاء والانتماء للوطن ، وتعميق الشعور بالمسئولية تجاه المال العام والمرافق العامة ، ونشر ثقافة النزاهة والشفافية على نطاق مجتمعي واسع .

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

إخوة الإسلام:

إن المسئولية المجتمعية تقتضي تعزيز الثقافة العامة الرافضة للفساد ، وتحقيق الرقابة المجتمعية الواعية لخطورة الفساد على المجتمع كله ، وذلك من خلال تفعيل دور المؤسسات الدينية ، والتعليمية ، والإعلامية ، حيث يقول الحق سبحانه : (فَلَوْلا كَانَ مِنَ القُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ) (هود: ١١٦)،

ويقول سبحانه وتعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) (هود: ١١٧).

كما أن الأمر يتطلب عدم التستر على أي مفسد ، والتعاون مع الأجهزة المختصة في كشف كافة أنواع الفساد ، حتى يعم الاستقرار المجتمع كله، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ الله وَالوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا) (صحيح البخاري).

وتعد جرائم التزوير ، والغش ، والرشوة ، والاختلاس ، والاعتداء على المال العام ، والتستر على المجرمين من أخطر جرائم الفساد ، ومن أشدها خطرًا التزوير ؛ فإن تزوير أي وثيقة أو مستند جريمة دينية ووطنية ، وقد عد ديننا الحنيف عملية التزوير قولًا أو فعلًا من أكبر الكبائر ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَلا أُنَبِّئُكُمْ بأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ ثلاثاً قُلْنَا : بَلَى ، يَا رَسُول الله، قَال: الإِشْرَاكُ بالله ، وَعُقُوقُ الوَالدَيْنِ ، وكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) متكئًا فجلس، فقال: أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ)، يقول سيدنا أبو بكرة (رضي الله عنه) راوي الحديث : فما زال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يكرر قوله : (أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ) حتى قلنا – أي: قال الحاضرون من الصحابة (رضي الله عنهم) في أنفسهم–: ليته سكت) (صحيح البخاري)؛ لما عرفوه من شدة التحذير والخوف من الوقوع فيه .

وما كان هذا التحذير والوعيد الشديد إِلَّا لخطورة جريمة التزوير على الفرد والمجتمع ونزع الثقة بين أبنائه، كما أننا نعد جريمة التزوير – أيًّا كان نوعها– بمثابة خيانة الوطن ؛ لما يترتب عليها من آثار مدمرة للدول ، فضلًا عن كونها جريمة مخلة بالشرف والمروءة ، مما يخول المشرِّع أن يذهب بعيدًا في عقوبتها ، ولا سيما ما يتصل اتصالًا مباشرًا بحياة الناس ، ويترتب عليه ضرر في صحتهم أو أموالهم.

اللهم احفظ مصر من كل سوء وسائر بلاد العالمين.

* * *

صفات المؤمنين في القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : (إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الفَوْزُ الكَبِيرُ) (البروج : ١١) ، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليَهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن الإيمان من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان ، حيث يقول الحق سبحانه: (بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (الحجرات : ١٧) وهو سبيل الوصول إلى الحياة الآمنة المطمئنة ، والفلاح والأجر العظيم ، حيث يقول تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) (النحل: ٩٧)، ويقول (عز وجل) : (إِنَّ الذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة : ٢٧٧).

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه وتعالى وصف المؤمنين بالعديد من الصفات في كتابه العزيز ، منها : المحافظة على أداء الصلوات في وقتها ، وإتمام أركانها ، والخشوع فيها ، حيث يقول تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ * الذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) (المؤمنون : ٢،١)، ويقول سبحانه : (وَالذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (المؤمنون : ٩).

ومنها: الإعراض عن اللغو، سواء أكان قولًا أم فعلًا ، حيث يقول سبحانه: (وَالذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) (المؤمنون : ٣)، فالمؤمنون مترفعون عن

سفاسف الأمور ، مهتمون بمعاليها ، يقول سبحانه : (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) (القصص: ٥٥)، ويقول أيضًا : (وَالذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) (الفرقان : ٧٢)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ) (سنن ابن ماجه).

ومنها : الإنفاق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، حيث يقول سبحانه : (وَالذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) (المؤمنون: ٤) ، ويقول سبحانه: (وَالمُؤمِنونَ وَالمُؤمِناتُ بَعضُهُم أَولِياءُ بَعضٍ يَأمُرونَ بِالمَعروفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَيُقيمونَ الصَّلاةَ وَيُؤتونَ الزَّكاةَ وَيُطيعونَ اللَّهَ وَرَسولَهُ أُولئِكَ سَيَرحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزيزٌ حَكيمٌ) (التوبة : ٧١).

ومنها: أنهم أهل عفة وورع ، حيث يقول تعالى : (وَالذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) (المؤمنون: ٥ ، ٦)، وكان نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَسْأَلُ ربه (عز وجل) في دعائه العفاف ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلكَ الهُدَى وَالتُّقَى والعَفَافَ وَالغِنَى) (صحيح مسلم)، ويقول محمد بن الحنفية (رحمه الله): الكمال في ثلاثة : العفة في الدين ، والصبر على النوائب ، وحسن التدبير في المعيشة (أدب الدنيا والدين للماوردي).

ومنها: حفظ الأمانة ، والوفاء بالعهد ، فالمؤمن الحقيقي دائمًا ما يتعهد أمانته كما يتعهد الفلاح زراعته ، والعامل صناعته ، فالإيمان والوفاء بالعهد مرتبطان ، حيث يقول سبحانه: (وَالذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (المؤمنون: ٨) ويقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ)(المائدة: ١) ويقول تعالى: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلى أَهْلِهَا) (النساء: ٥٨) وقد ربط نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بين الأمانة والإيمان ، حيث يقول

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ) (مسند أحمد).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

إخوة الإسلام:

ومن صفات المؤمنين : أنهم يديمون ذكر الله (عز وجل)، ويحسنون التوكل عليه سبحانه ، حيث يقول الحق سبحانه: (الذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلا بذكر اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ) (الرعد: ٢٨)، ويقول سبحانه: (إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال: ٢)، والتوكل الحقيقي هُوَ : " صِدْقُ اعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي اسْتِجْلَابِ الْمَصَالِحِ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كُلِّهَا، وَكِلَةُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : التَّوَكُّلُ جِمَاعُ الْإِيمَانِ" (جامع العلوم والحكم لابن رجب)، ولا يكتمل التوكل إلا بالأخذ بأسباب العمل والاجتهاد ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا ، وَتَرُوحُ بِطَانًا) (سنن ابن ماجه).

والإيمان الحقيقي يمتد أثره إلى المجتمع، فالمؤمن الحقيقى لا يكون غشاشًا، ولا منافقًا ، ولا كذابًا ، ولا خائنًا للعهد ، ولا غادرًا ، الإيمان الحقيقى يهذب نفس صاحبه ، المؤمن الحقيقى حيي ، كريم ، يَألفُ ، ويُؤلفُ ، حيث يقول الحق سبحانه: (ثُمّ كَانَ مِنَ الذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالمَرْحَمَةِ) (البلد: ١٧)، ويقول سبحانه : (وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ *

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (العصر: ١-٣)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) (صحيح البخاري).

فما أجمل أن نتحلَّى بتعاليم الإيمان ، حتى يتحقق لنا الأمن والاستقرار ، والطمأنينة ، والسعادة في الدنيا والآخرة ، حيث يقول تعالى في جزاء المؤمنين: (أُولَـئِكَ هُمُ الوَارِثونَ * الذِينَ يَرِثونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالدُون) (المؤمنون : ١٠،١١)، ويقول سبحانه: (إِلَّا الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) (التين: ٦) ، ويقول تعالى: (إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا) (الكهف: ١٠٧، ١٠٨).

اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا.

* * *

لغة القرآن والحفاظ على الهُوِيّة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (فصلت: ٣) وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن اللغة هي الوعاء الحامل للمعاني والثقافات ، وهي أحد أهم عوامل تشكيل الهوية ، والتأثير في بناء الشخصية، فمن يتكلم لغتين يجمع ثقافتين، ومن يتحدث ثلاث لغات يجمع ثلاث ثقافات، ويقرأ نتاج عقول كثيرة، غير أن لغة الإنسان الأم تظل أحد أهم العوامل في تشكيل ثقافته ، فالذي لا يدرك أسرار لغته لا يمكن أن يدرك كُنه ثقافة قوم ولا أن يسبر أغوارها.

وللغة العربية خصوصية بالغة ؛ فهي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ، وكانت المعجزةُ الكبرى لنبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هي القرآن الكريم ببيانه وأسراره اللغوية والبيانية، حيث يقول الحق سبحانه: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)(يوسف: ٢)، ويقول سبحانه: (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) (طه: ١١٣)، ويقول (عز وجل): (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (الزمر: ٢٨)، ويقول تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إليك قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ) (الشورى: ٧)، ويقول سبحانه: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (الشعراء: ١٩٥)،ويقول سبحانه : (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (الأنبياء: ١٠).

وقد ربط القرآن الكريم بين اللسان العربي وإعمال العقل ، فقال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف: ٢)، فتفاعل المسلمون مع

القرآن ، فأعملوا عقولهم ، وأنتجوا حضارة لا تُنكَر ، كما ربط الله بين اللغة العربية والدعوة إلى العلم ، فقال تعالى : (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (فصلت: ٣)، حاثًّا بذلك على طلب العلم داعيًا إلى تحقيق التقوى ، حيث يقول سبحانه : (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (الزمر: ٢٧، ٢٨).

ولا ينكر أحد أنه لا يمكن أن نفهم ديننا فهمًا صحيحًا، ولا أن نستقي أحكامه من كتاب ربنا (عز وجل) وسنة نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلَّا بفهم لغتنا العربية فهمًا دقيقًا ، فاللغة هي مفتاح التفقه في الدين ، حيث يقول سيدنا عبد الله ابن عباس (رضي الله عنهما) : (كنت لا أدري ما معنى (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) (فاطر: ١)، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بِئْرٍ ، فقال أحدهما: أنا فطرتُها ، أَيْ: أنا ابتدَأتُها) (شعب الإيمان للبيهقي)، بل إن الأصوليين والفقهاء وغيرهم جعلوا التمكن في اللغة العربية وأدواتها أحد أهم شروط الاجتهاد ، ولله در حافظ إبراهيم حين يتحدث بلسان لغتنا العربية:

وَسِعتُ كِتابَ اللَهِ لَفظًا وَغايَةً وَما ضِقتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظاتِ
فَكَيفَ أَضيقُ اليَومَ عَن وَصفِ آلَةٍ وَتَنسيقِ أَسماءٍ لِمُختَرَعاتِ
أَنا البَحرُ في أَحشائِهِ الدُرُّ كامِنٌ فَهَل سَائلوا الغَوّاصَ عَن صَدَفاتي

كما لا ينكر أحد أن عدم المعرفة باللغة العربية ودلالتها ، وعدم التعمق في فهم النص ومعرفة ما يتعلق به ، والاقتصار في العمل على الأخذ بظاهره دون معرفة دقائقه وأسراره يوقع في خطأ جسيم ، وقد يصل الحال بصاحبه إلى الفهم الخاطئ الذي يؤدي إلى استباحة الدماء ؛ ولذلك فإن فهم

الكتاب والسنة فرض واجب ، وهو لا يتم إلا بتعلم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وكان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول: تعلموا العربية فإنها من دينكم ، ومرَّ (رضي الله عنه) على قوم يتعلمون الرمي فيخطئون ، فلامهم على ذلك ، فقالوا : (إنا قوم متعلمين "بنصب ما حقه الرفع"، فقال (رضي الله عنه) : (لخطؤكم في لسانكم أشد عليَّ من خطئكم في رميكم)، ويقول عبد الملك بن مروان : (أصلحوا ألسنتكم ، فإن المرء تنوبه النائبة فيستعير الثوب والدابة ، ولا يمكنه أن يستعير اللسان ، وجمال الرجل فصاحته) (روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لا شك أنَّ لغة القرآن تجمع تراث الأمة وتحفظه، وتستوعب مقومات الفكر والثقافة على مر التاريخ ، وتضمن لفكر الأمة البقاء والخلود ؛ وأن وجود الأمم مرتبط بوجود لغتها ؛ فالأمم التي انقرضت لغتها زالت من الوجود وتماهت في ثقافة غيرها من الأمم ، لذلك فإن الاهتمام باللغة يعد مؤشرًا من مؤشرات الاهتمام بالهوية والمحافظة عليها ، فاللغة هي المعبرة عن وحدة الصف ، ووحدة الهدف ، ووحدة الفكر ، كما أن اللغة هي الوعاء الثقافي الأهم لأي أمة أو ثقافة .

فما أحوجنا إلى اليقظة والمقاومة لكل محاولات تذويب الهوية ، والعمل الجاد على تقوية مناعتنا الحضارية في مواجهة موجات التجريف العاتية،

من خلال الاحتفاء بلغة القرآن والعناية بها ، فهي مفتاح هويتنا ، والاعتزاز بها اعتزاز بالهوية ، وخدمتها خدمة للدين وللوطن.

اللهم احفظ مصر من كل سوء وسائر بلاد العالمين.

❋ ❋ ❋

اغتنام الأوقات ومخاطر إضاعتها

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: (وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (العصر:١- ٣) وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن للوقت أهمية عظيمة ، وقيمة غالية نفيسة في حياة الإنسان، وهو من أجلِّ النعم التي امتن الله (عز وجل) بها علينا، حيث يقول الحق سبحانه: (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لاَ تُحْصُوهَا) (إبراهيم : ٣٣،٣٤).

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أنه قد عني بالوقت عناية شديدة، حيث سُميت أربع سور من سور القرآن الكريم ببعض الأوقات ، وهي: (سورة الفجر ، وسورة الليل ، وسورة الضحى ، وسورة العصر)، كما أقسم سبحانه بالأوقات في مواضع عديدة ، حيث يقول تعالى: (وَالفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالوَتْرِ) (الفجر: ١-٣)، ويقول سبحانه: (وَالضُّحَى*وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) (الضحى: ١، ٢)، ويقول (عز وجل): (وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ) (المدثر: ٣٤)، ويقول سبحانه: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى) (الليل: ١، ٢).

وهذا الاهتمام القرآني الشديد بالوقت إنَّما يدلنا على أهميته ، ووجوب اغتنامه في أعمال الخير التي تنفع النفس ، والمجتمع ، والوطن ؛ حيث يقول سبحانه: (فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ)(البقرة: ١٤٨) ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ

سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ) (السنن الكبرى للنسائي)، ويقول الحسن البصري (رحمه الله):"يا ابن آدم إنَّما أنت أيَّام ، كلَّما ذهب يومٌ ذهب بعضُك"(شعب الإيمان).

لذلك وجب علينا أن ننظم أوقاتنا ، ونستفيد بكل جزء فيها ، ونعمل على استغلال كل لحظة في حياتنا ؛ فإن النشاط يولد النشاط ، والكسل يولد الكسل ، وإن القليل إلى القليل كثير ، وإن حياة الإنسان إنما هي عبارة عن مجموعة من الوحدات الزمنية التي تشكل في مجملها وتراكيبها حياته كلها، ولله در القائل:

دَقَّـاتُ قَلْبِ المَرْءِ قَائِلَـة لَهُ　　　إِنَّ الحَيَـاةَ دَقَـائِـقٌ وَثَـــوَانِ

على أننا نؤكد أن عمر الإنسان وحياته الحقيقية إنما هو ما ينتجه أو يخلفه من تراث معرفي ، أو فكري ، أو إنتاج علمي ، نظري أو تطبيقي ، وكل ما يقدمه لخدمة البشرية، بغض النظر عن مدى الزمن الذي يعيشه، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) (يس: ١٢)، ويقول الشاعر:

عُمرُ الفتى ذكرُهُ لا طولُ مُدّتِهِ　　　وَمَوتُـهُ خِزْيُهُ لا يـومُـه الدَّانِـي

فَأَحْيِ ذِكرَكَ بِالإحسانِ تُودِعُهُ　　　تَجمع بِـذَلِكَ في الدُنيا حَياتـان

فالبركة في العمر لا تكون بطول العمر فحسب ، إنما هي مقدار ما ينتجه أو يقدمه الإنسان في هذا العمر لخدمة دينه أو دنياه أو دنيا الناس، فخير الناس من طال عمره وحسن عمله ، وشر الناس من طال عمره وساء عمله ، وخير الناس أنفعهم للناس ، فقد سئل نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يا رسولَ الله أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَن طال عمرُهُ ، وحَسنَ عملُهُ)، قيلَ: فأيُّ النَّاسِ شرٌّ ؟ قال: (مَن طال عمرُهُ وساءَ عملُهُ)

(مسند أحمد) ، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ) (المعجم الأوسط للطبراني).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

إخوة الإسلام:

لقد حثتنا الشريعة الإسلامية على اغتنام الأوقات ، وحذرتنا من الغفلة عنها ، حيث يقول الحق سبحانه: (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ الله نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَالله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المنافقون: ١٠،١١)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ) (صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ؟) (سنن الترمذي)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (تَصَدَّقُوا قَبْلَ أَنْ لَا تَصَدَّقُوا ، تَصَدَّقُوا قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ) (السنن الكبرى للبيهقي).

فمن الناس من يسرقه الوقت فلا ينتفع به ، فإن لم يسرقه الوقت حاول هو قتل الوقت ؛ لأنه في فراغ قاتل ممل ، لا هو في أمر دينه ولا في أمر دنياه ، حيث يقول سيدنا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): (إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرَى الرَّجُلَ فَارِغًا ، لَا فِي عَمَلِ الدُّنْيَا ، وَلَا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ) (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)، ولله در القائل:

وَالوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيتَ بِحِفْظِهِ   وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ

فما أحوجنا إلى تعمير أوقاتنا بما ينفعنا ، ويفيد مجتمعنا ووطننا ، حتى يتحقق الفلاح ، والتقدم ، والسعادة في الدنيا والآخرة .

اللهم ارزقنا البركة في أوقاتنا وأعمارنا وفي شأننا كله.

* * *

العـمـل شـرف

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إلى عَالمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة: ١٠٥) ، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فقد نظر الإسلام إلى العمل نظرة تعظيم وتمجيد ؛ فهو سبيل الرقي والتقدم، والمتأمل في القرآن الكريم يجد فيه دعوة صريحة للعمل الذي يتحقق به إعمار الكون ، وتحقيق الخير للدنيا كلها ، حيث يقول الحق سبحانه: (هُوَ أَنْشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود: ٦١)، ويقول سبحانه: (هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك: ١٥)، ويقول (عز وجل) : (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الجمعة: ١٠)، فلأهمية العمل جاء الأمرُ به بعد الأمر بالصلاة مباشرة ، وكان سيدنا عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي ، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (تفسير ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

كما أن السنة النبوية المطهرة زاخرةٌ بالدعوة إلى العمل والجدِّ فيه ، باعتباره شرفًا يحفظ للإنسان كرامته ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أفضلُ الكسْبِ بيعٌ مبرورٌ ، وعملُ الرجلِ بيدِه) (المعجم الكبير

للطبراني)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ) (صحيح البخاري)، ويقول سيدنا عمر (رضي الله عنه): (لَا يَقْعُدُ أحدكم عن طلب الرزق يقول: اللهمَّ ارْزُقْنِي ؛ فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تمطر ذهبًا ولا فضة) (إحياء علوم الدين).

ولشرف العمل وأهميته كان الأنبياء (عليهم السلام) يعملون بأيديهم، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (كَانَ دَاوُدُ (عليه السلام) لا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) (صحيح البخاري)، ويقول: (كَانَ زَكَرِيَّا (عليه السلام) نَجَّارًا) (صحيح مسلم) ، وكان نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يعمل بنفسه ، ويقوم على خدمة أهله ، تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها) : كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ) (مسند أحمد)، كما دعانا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى العمل حتى في آخر لحظات حياتنا، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ) (مسند أحمد).

وقال لقمان الحكيم لابنه : (يا بُنَيَّ اِستَغنِ بِالكَسبِ الحَلال عَنِ الفَقرِ، فَإِنَّهُ مَا افتَقَرَ أحَدٌ قَطُّ إلَّا أصابه ثلاث خِصال : رِقَّةٌ في دينِهِ ، وضَعفٌ في عَقلِهِ ، وذَهابُ مُروءَتِهِ ، وأعظَمُ مِن هذِهِ الثَّلاثِ : اِستِخفافُ النّاسِ بِهِ) (إحياء علوم الدين).

ومن شرف العمل أن الشريعة الإسلامية عدت السعي على كسب الحلال لمعاشه ورزق أولاده سعيًا في سبيل الله ، فقد ربط القرآن الكريم بين العمل وبين التضحية في سبيل الحق ، حيث يقول سبحانه : (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ الله وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

الله)(المزمل: ٢٠)، وحينما مرَّ رجلٌ عَلَى نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ! فَقَال رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ) (المعجم الكبير للطبراني).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن الإسلام لم يطلب منا مجرد العمل فحسب ، بل حثنا على إتقانه ابتغاء مرضاة الله (عز وجل) ، ولقد وعد ربنا (عز وجل) من يتقن عمله بالثواب العظيم ، حيث يقول سبحانه: (إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) (الكهف: ٣٠)، كما أن إتقان العمل من الأمور التي يحبها الله (عز وجل)، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ الله يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ) (مسند أبي يعلى).

فأمانة العمل مسؤليَّة في عنق كل عامل أو موظف أو مسئول، يراقب فيها ربه (عز وجل)، حيث يقول سبحانه : (إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)(النساء: ١)، ويقول (عز وجل): (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَال ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ

مُبِينٍ) (يونس: ٦١)، وعندما سئل نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن الإحسان، قال: (الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) (صحيح البخاري).

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات ، وأن تحفظ مصرنا من كل سوء، وسائر بلاد العالمين.

❊ ❊ ❊

القيم المجتمعية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل: ٩٠)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ .

وبعد:

فإن ترسُّخ القيم في المجتمعات دليل رقيها وتحضرها ، وسر تماسكها وترابطها واستقرارها ، كما أن انهيار المجتمعات يبدأ بانهيار منظومة القيم المجتمعية ، فالمجتمعات التي لا تبنى على الأخلاق تحمل عوامل سقوطها ؛ لأنها تقوم على أساس هشّ ، ولله در الشاعر :

إنَّمَا الأُمَمُ الأخْلاقُ ما بَقِيَتْ ... فإنْ همُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُمُ ذَهَبُوا

ولا شك أنَّ ديننا الحنيف قد اهتم بالقيم المجتمعية التي تحفظ كيان المجتمع ، وتقوي أركانه ؛ ذلك لأن حفظ القيم والأخلاق أساس هذا الدين العظيم ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأخلاق) (الأدب المفرد للبخاري).

ومن هذه القيم المجتمعية : قيم التعاون والتكافل والعيش المشترك ، التي تعود بالنفع على المجتمع كله ، فالوطن لجميع أبنائه ، وهو بهم جميعًا ، دون تفرقة على أساس الدين أو اللون أو الجنس ، وفي ذلك تجسيد لمبدأ الأخوة الإنسانية بما يؤسس لمجتمع مترابط يقوم على الحب والعطاء ، حيث يقول الحق سبحانه: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ) (المائدة: ٢)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ): (مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم ، وتَرَاحُمِهِم ، وتعاطُفِهِمْ مثلُ الجسَدِ، إذا اشتكَى مِنْهُ عضوٌ تداعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى)(صحيح مسلم)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ) (صحيح البخاري).

ومن القيم المجتمعية : قيم الشهامة والمروءة والتضحية والإيثار ، مما يزيد من لُحمة التماسك الوطني والمجتمعي ، ويزرع المودة ، والإخاء ، والصفاء بين أفراد المجتمع، وهذا ما أشار إليه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حينما نهى عن التباغض ، والتحاسد ، والتدابر ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ) (صحيح مسلم)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ) (صحيح البخاري).

ومنها: قيم العناية بذوي الهمم والأيتام والضعفاء وكبار السن باعتبار أن حسن رعايتهم واجب ديني ووطني وإنساني، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (السَّاعِي علَى الأرْمَلَةِ والمِسْكِينِ كالمُجاهِدِ في سَبيلِ اللهِ ، أوْ كالذِي يَصُومُ النَّهارَ ويقومُ اللَّيْلَ) (صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (هلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلَّا بضُعَفَائِكُمْ؟) (صحيح البخاري)، كما اعتبر الإسلام إنجازات ذوي الهمم قوة إضافية للمجتمع ؛ فأتاح لهم المجال ليقوموا بدورهم في الحياة الاجتماعية بشكل مؤثر ؛ ومن هنا كان سيدنا عبد الله بن أم مكتوم (رضي الله عنه) مؤذنًا لنبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)،

كما استخلفه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على المدينة مرات كثيرة ليصلّي بالناس(السيرة النبوية لابن كثير).

*　　*　　*

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن من أهم القيم المجتمعية: قيمة التحري والتثبت من الأخبار قبل ترديدها ونشرها ، وقد أكد الشريع الشريف عليها ، وحذر من الشائعات ومروجيها ، باعتبار أن بث الشائعات هدفه تدمير المجتمعات ، والعمل على نشر اليأس والإحباط بين أبنائها ، حيث يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (الحجرات: ٦)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كَفَى بِالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)(صحيح مسلم)، فالعاقل يفكر قبل أن يتكلم، والأحمق يتكلم دون أن يفكر، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) (صحيح البخاري)، فما أجمل أن نتمسك بالقيم المجتمعية، حتى يتحقق التآلف والترابط بين أبناء المجتمع كله .

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق ، فإنه لا يهدي لأحسنها إلَّا أنت.

*　　*　　*

ضوابط بناء الأسرة وسبل الحفاظ عليها

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم: ٢١)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن وجود الكيان الأسري في حياة الإنسان من أعظم نعم الله (عز وجل)، وقد امتن الله سبحانه على عباده بهذه النعمة في كتابه الكريم، حيث يقول الحق سبحانه: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِن أَنفُسِكُم أَزواجًا وَجَعَلَ لَكُم مِن أَزواجِكُم بَنينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّباتِ أَفَبِالباطِلِ يُؤمِنونَ وَبِنِعمَتِ اللَّهِ هُم يَكفُرونَ) (النحل: ٧٢).

والأسرة هي نواة المجتمع، وحصن الدفاع الأول عنه ؛ لذلك اهتم الإسلام ببنائها بناء قويًّا متماسكًا ، بما يحقق المودة والرحمة بين جميع أفرادها ؛ فيعم الأمن والاستقرار المجتمعَ كلَّه ، حيث جاءت الشريعة الإسلامية بضرورة انتقاء شريك الحياة بعناية فائقة ، تؤدي إلى استقرار الحياة الزوجية ، كما نبهت على أهمية تحقق القدرة على تحمل مسئولية الأسرة بكل جوانبها المالية والاجتماعية والنفسية ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) (صحيح البخاري).

وتأكدت عناية الشريعة الإسلامية بتربية الأبناء تربية سليمة ، وإشعارهم

بمسئوليتهم تجاه دينهم ، ومجتمعهم ووطنهم ، مما يؤسس لبناء أسرة قوية سوية، من خلال غرس القيم الدينية والمجتمعية ، والعادات والتقاليد النافعة في نفوس الأبناء ؛ فهم أمانة في أعناق الوالدين ، حيث يقول الحق سبحانه: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ) (التحريم: ٦)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ ، أَحَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ؟ حَتَّى يُسْأَل الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ) (صحيح ابن حبان)، كما أن صلاح الذرية يكون قرة عين للآباء والأمهات في الدنيا والآخرة ، حيث يقول سبحانه: (وَالذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (الفرقان: ٧٤)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) (صحيح مسلم).

وقد بيَّن لنا نبينا الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن خير الناس رجلًا أو امرأة هو خيرهم لأهله ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ) (سنن ابن ماجه)، وقد كان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خير الناس لأهله، فكان نعم الزوج ، ونعم الأب ، ونعم الجد ، فمن لا خير فيه لأهله لا خير فيه أصلًا.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن الإسلام يحرص كل الحرص على الحفاظ على كيان الأسرة ، مترابطةً

متآلفة، قائمة على الحب والاحترام والتقدير المتبادل ، فالمتأمل في القرآن الكريم يجد أنه سمى المرأة زوجًا للرجل ، ولم ترد بلفظ زوجة في القرآن الكريم ، وكأن القرآن الكريم قد اتخذ من التكافؤ اللغوي واللفظي إشارة ودلالة على التكافؤ المعنوي ، حيث يقول سبحانه : (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) (البقرة: ١٨٧)، ويقول سبحانه : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الذِي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ) (البقرة : ٢٢٨)، ويقول تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمّا اكْتَسَبْنَ) (النساء: ٣٢)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في خطبته الجامعة في حجة الوداع: (أَلاَ وَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا) (سنن الترمذي).

فالأمر بين الزوجين قائم على السكن والمودة والرحمة والحقوق والواجبات المتبادلة ، بعيدًا عن كل ألوان الغلبة والاستعلاء ، والحياةُ الأسريةُ لا يمكن أن تستقر في أجواء الغلبة والاستعلاء والقهر ، إنما تستقر في أجواء التقدير والاحترام المتبادل ، والعمل من جميع أطرافها على صناعة البهجة وتحمل الصعاب ومواجهة التحديات ، وكان سيدنا أبو الدرداء (رضي الله عنه) يقول لزوجته : (إذا غضبتُ فَرَضيِّني، وإذا غضبتِ رضَّيتُك ، فإذا لم نكن هكذا ما أسرع ما نفترق) (روضة العقلاء لابن حبان). فما أجمل أن تعيش الأسر هادئة سعيدة مستقرة ، حتى تتحقق السعادة في الدنيا والآخرة.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا.

* * *

حق الوطن والتضحية في سبيله

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (آل عمران: ١٠٣)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن للوطن مكانة سامية في قلوب أبنائه ، والانتماء إليه فطرة جُبلت عليها النفس البشرية السوية ، يقول الأصمعي: " إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده ، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ، وتشوُّقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه" (كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني).

وحب الوطن والانتماء إليه واجب ديني ؛ لذلك حفلت الشريعة الإسلامية بالدعوة إلى تعميق الانتماء للوطن، والعمل على رقيه وتطوره، وها هو نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عندما هاجر إلى المدينة المنورة نظر إلى وطنه مكة المكرمة مودعًا ، وقال : ما أطيبَكِ من بلدٍ ! وما أحبَّكِ إلي! وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ ، مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ) (سنن الترمذي). وعندما هاجر (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى المَدِينَةِ المنورة واستوطن بها ، دعا الله (عزّ وجلّ) أَنْ يُحبِّبَها إليه ، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ) (صحيح البخاري).

على أن حب الوطن ليس مجرد كلماتٍ تقال ، أو شعاراتٍ ترفع ؛ إنما هو سلوك وتضحيات بكل غالٍ ونفيس ، فالمواطنة الحقيقية تعني حسن الولاء والانتماء للوطن ، والحرص على أمنه واستقراره ، وتقدمه ، ورقيه ،

كما تعني الالتزام الكامل بالحقوق والواجبات ، فالوطنية الحقيقية فداء ، واعتزاز بالوطن ؛ لأن الوطن يستحق منا التضحية لأجل عزته ، ورفعته ، وحفظه.

ومن أهم حقوق الوطن التضحية في سبيله ، ولا شك أنَّ التضحية بالنفس من أعلى مراتب التضحية ، حيث يقول الحق سبحانه : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (الأحزاب: ٢٣)، وقد بشَّر نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حرَّاس الوطن وحماته الذين يضحون بأنفسهم دفاعًا عنه بالنجاة من النار ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ) (سنن الترمذي)، لذلك استحق أهل هذه التضحية أن يكونوا اصطفاءَ اللهِ تعالى من المؤمنين ، وفي معية الأنبياء والصديقين والصالحين ، حيث يقول الحق سبحانه : (وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ) (آل عمران: ١٤٠)، ويقول تعالى: (وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء: ٦٩).

*　　*　　*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن من واجب الوطن على أبنائه أن ينفروا خفافًا وثقالًا حيث اقتضت مصلحة الوطن ذلك ، وإذا كان من واجبهم افتداؤه بأرواحهم ودمائهم

متى تَطَلَّبَ الأمر ذلك ، فإن مشاركتهم الإيجابية في كل ما تقتضيه مصلحة الوطن هو أضعف الإيمان في باب الانتماء الوطني وحب الوطن والإخلاص له .

إن ضريبة الوطن لا يدفعها جيل واحد ، ولا بعض أبنائه دون بعض ، بل هي عملية تشاركية وتضامنية بين جميع أجياله المتعاقبة .

ومن أهم حقوق الوطن: الجد والعمل والإتقان ، يقول (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) (مسند أبي يعلى).

ومنها: الوفاء بالواجب الوظيفي ، فالوظيفة العامة أمانة ومسئولية والوفاء بحقها واجب شرعي ووطني ، والإهمال في القيام بالواجب الوظيفي من أخطر أنواع الفساد ، فينبغي على الإنسان أن يكون قلبه حيًّا وضميره يقظًا مستشعرًا دائمًا قوله تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الحديد: ٤).

ومنها: احترام عَلَمِهِ ونشيده ورموزه وسائر شعاراته الوطنية ، فالعَلَم شعار الدولة وعنوانها الذي يلتف حوله جميع أبنائها في الداخل والخارج، ويحققون تحته إنجازاتهم ونجاحاتهم ، واحترامه من أولويات وثوابت أعمدة بناء الدولة.

ومنها: حسن تمثيله في الداخل والخارج ، وفي جميع المحافل الوطنية والدولية، والحرص على رفع رايته عالية خفاقة ، وأن يكون الإنسان خير سفيرٍ لوطنه حيث كان ، ومنها : عدم السماح بالمساس بأرضه ومقدراته أو النيل منه قولًا أو عملًا ، والتصدي لأعدائه دفاعًا بالكلمة والنفس والنفيس متى تطلب الأمر ذلك.

اللهم احفظ بلادنا مصر وسائر بلاد العالمين.

مفهوم الأشهر الحرم

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) (التوبة : ٣٦)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهم صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن من فضل الله تعالى على عباده أن اصطفى لهم مواسم خير وبركة؛ يضاعِف فيها الحسنات ، ويتجاوز فيها عن السيئات ، حيث يقول الحق سبحانه : (وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ ٱللَّه) (إبراهيم: ٥) ، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ لِرَبِّكُمْ (عزَّ وجلَّ) فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا ، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا) (المعجم الأوسط للطبراني).

ومن هذه المواسم الإيمانية الأشهر الحرم ، وقد أشار الله (عز وجل) إليها إجمالًا في قوله تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ الله اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ الله يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) (التوبة: ٣٦)، وبيَّنَها نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تفصيلًا في خطبة الوداع ، حين قال: (أَلا إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ : ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ) (صحيح البخاري).

والأشهر الحرم لها حرمة ومكانة وقداسة عند الله (عز وجل)، فقد سُمِّيت حُرُمًا لعظم حرمتها ؛ لذلك جاءت الشريعة بتحريم القتال فيها وانتهاك الحرمات أشد تحريم، حيث يقول الحق سبحانه: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) (البقرة: ٢١٧)، فالأشهر الحرم تحمل رسالة سلام للإنسانية كلها ، ذلك أن الإسلام دين السلام ، والسلام اسم من أسماء الله تعالى ، حيث يقول الحق سبحانه: (هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَه إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ) (الحشر: ٢٣)، ونبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هو نبي الرحمة والسلام ، حيث يقول تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧)، وكان من دعاء نبينا الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عقب كل صلاة: (اللهمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ) (سنن ابن ماجه).

فالإسلام ليس متشوقًا للقتال ولا لسفك الدماء، بل إنه يكفُّ عنهما ما وجد إلى ذلك سبيلًا، ويجنح للسلم ويؤكد عليه ، حيث يقول الحق سبحانه: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) (الأنفال: ٦١)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا)(صحيح البخاري)، وإن رسالة الإسلام رسالة سلام ووئام، وغايتها سعادة البشرية جمعاء، يقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتقَاكُم إِنَّ اللهَ عليمٌ خَبيرٌ)(الحجرات: ١٣).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن تعظيم الأشهر الحرم يقتضي الكف عن كل ألوان الإرهاب والتطرف وسفك دماء الآمنين وترويعهم ، كما يقتضي الإقبال على الله (عز وجل) بكثرة الطاعات ، فعلينا أن نعمِّر هذه الأشهر والأيام بالاجتهاد في العبادة ، وتزكية الأنفس بالطاعات والقربات ؛ حيث يقول سبحانه : (وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الحج: ٧٧)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاتْرُكْ ، صُمْ مِنَ الحرُم وَاترُكْ ، صُمْ مِنَ الحرُمِ وَاتْرُكْ) (سنن أبي داود).

ومن هذه الأشهر الحرم شهر رجب ، وقد سُمِّي رجبًا من الترجيب أي: التعظيم ، وقد كان العرب يسمونه بالأصم ؛ لأنهم لا يسمعون فيه صوت الحرب ، وهو شهر فيه معجزة الإسراء والمعراج لنبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وهو مفتاح أشهر الخير والبركة ، يقول أبو بكر الوراق البلخي: (شهر رجب شهر للزرع ؛ وشعبان شهر السقي للزرع؛ ورمضان شهر حصاد الزرع) (لطائف المعارف لابن رجب).

فما أجمل أن نغتنم الأشهر الحرم في طاعة الله (عز وجل) بعمارة الأرض ، وإتقان العمل ، وكثرة الخيرات ، وإطعام الطعام ، وإشاعة روح التكافل والتراحم ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَحَبُّ النَّاسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ (عزَّ وجلَّ) سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ ، تَكشِفُ عنه كُربةً ، أو تقضِي عنه دَيْنًا ، أو تَطرُدُ عنه جوعًا ، ولأَنْ أمشيَ مع أخٍ في حاجةٍ ؛ أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا المَسْجِدِ – يَعْنِي: مَسْجِدَ المَدِينَةِ – شَهْرًا، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَه أَمْضَاهُ؛

مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ رِضًا، وَمَن مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَقضِيَها لَهُ؛ ثبَّتَ اللهُ قَدمَيْهِ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ) (المعجم الأوسط للطبراني).

اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان.

*　　*　　*

مخاطر الطلاق

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : (والصُّلْحُ خَيْرٌ) (النساء: ١٢٨)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فقد جعل الإسلام للحياة الزوجية قدسية خاصة ، ومكانة سامية ، وسنَّ من الحقوق والواجبات والآداب ما يضمن استقرارها ، وترابطها، وتماسكها، واستدامتها في إطار السكن ، والمودة ، والرحمة ، والاحترام المتبادل ، حيث يقول الحق سبحانه : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ) (النساء : ١٩)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ) (سنن ابن ماجه).

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن الله (عز وجل) قد سمَّى الزواجَ ميثاقًا غليظًا ؛ ليدل على وجوب احترامه ، وليحذِّر من خطورة هدمه ونقضه ، حيث يقول سبحانه : (وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) (النساء: ٢١).

وقد دعت الشريعة الإسلامية الزوجين إلى أن ينظر كل منهما إلى شريك حياته بعين الإنصاف، ويتأمَّل جوانب الخير فيه ، ويتبصَّر مزايا الإبقاء على الحياة الأسرية من السكن والاستقرار النفسي والسلوكي، حيث يقول سبحانه : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (النساء: ١٩)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لا يَفْرَكْ - أي: لا يكره - مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً ، إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ) (صحيح مسلم) ، فالكمال لله وحده ، والعصمة لأنبيائه ورسله ، ولله درُّ القائل:

ومَنْ ذا الذي تُرْضَى سجاياهُ كلُّها   كفى المرءَ نُبلاً أن تُعدَّ معايبُه

ومما لا شك فيه أن الحياة الزوجية قد تعتريها بعض وجهات النظر التي قد تنال من الصفاء الأسري ، لذلك نجد القرآن الكريم قد وضع العلاج الناجع لها ، وبيَّن أنَّ الخير كله في الصلح والتوافق والتراضي والإحسان، حيث يقول سبحانه: (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (النساء: ١٢٨)، وإن تطلب الأمر تدخل أهل الزوجين من أصحاب العقل والحِكمة والخبرة والصلاح والتقوى فليكن تدخلًا كريمًا بنية الإصلاح وإزالة أسباب الخلاف ، حيث يقول تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا)(النساء: ٣٥)، وفي ذلك الأجرُ العظيمُ عند الله (عز وجل)، حيث يقول سبحانه:(لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)(النساء: ١١٤)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ ؟ قَالوا: بَلَى ، قَال: إِصْلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ) (سنن أبي داود).

أمَّا إذا وصل الأمر إلى استحكام الشقاق في الحياة الزوجية فقد أرشدت الشريعة إلى التروي حتى تهدأ العاصفة ، وتلين القلوب ، وتصفو الأنفس ، ويُحَكَّم العقل ، فتحدث المراجعة ، ويعود الوفاق ، حرصًا على استمرار الكيان الأسري.

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لا شكَّ أنَّ الطلاق تدمير لبيتٍ أمر الشرع أن يُبنى على أساس من السكن والمودة والرحمة ، كما أنه يحمل العديد من المخاطر والآثار السلبية على الأسرة ، وعلى المجتمع ، ولا سيما الأبناء بما يسبب لهم انفصال الوالدين من مشكلات نفسية ، واجتماعية ، واقتصادية ؛ يفتقدون معها مقومات التربيةِ الحسنةِ ، والتنشئةِ السليمةِ بسبب ذلك التفكك الأسري؛ مما يجعلهم عرضة للاضطراب النفسي ، والتأخر الدراسي ، فيسهل انحرافهم السلوكي أو استقطابهم وأدلجتهم من قِبل جماعات التطرف والعنف والإرهاب ؛ لذا فإن الشيطان يعمل عمله على إغواء أي من الزوجين لتدمير بنيان الأسرة ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ علَى الماءِ ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَراياهُ ، فأدْناهُمْ منه مَنْزِلَةً أعْظَمُهُمْ فِتْنَةً ، يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ : فَعَلْتُ كَذا وكَذا ، فيَقولُ : ما صَنَعْتَ شيئًا، قال : ثُمَّ يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ : ما تَرَكْتُهُ حتَّى فَرَّقْتُ بيْنَهُ وبيْنَ امْرَأَتِهِ ، قال: فيُدْنِيهِ منه ويقولُ : نِعْمَ أنْتَ) (صحيح مسلم)، مما يتطلب منَّا الفطنة واليقظة والعمل على الإفلات من حبائل الشيطان ، فما أجمل أن يسود الوفاق والاحترام والحب بين أفراد الأسرة جميعًا ، حتى يتحقق الترابط والاستقرار بين المجتمع كله.

اللهم احفظ ديارنا وأبناءنا ومصرنا وجميع بلاد العالمين

*   *   *

الزكاة والصدقات
ودورهما في التنمية المجتمعية

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) (البقرة: ٤٣)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

وبعد:

فإن الشريعة الإسلامية وضعت للناس نظامًا اجتماعيًّا قويمًا ، أساسه التراحم ، والترابط ، والتكافل ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى) (صحيح مسلم)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ) (صحيح البخاري).

ومن هنا فقد شرع الإسلام الزكاة وجعلها من أركانه ، وحثَّ على الصدقات وجعلها من أعظم أبواب الخير ، بما يسهم في سد حوائج المحتاجين ، وتفريج كربهم ، حيث يقول الحق سبحانه: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) (التوبة: ١٠٣)، ويقول سبحانه: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (سبأ : ٣٩)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إله إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) (صحيح البخاري).

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن الله (عز وجل) قرن الزكاة في كثير من المواضع بأعظم الفرائض وأجلِّها وأعلاها مكانة، وهي الصلاة تعظيمًا لشأنها، وذلك ترغيبًا في أدائها ، حيث يقول الحق سبحانه: (وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ١١٠)، ويقول تعالى: (الذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) (النمل: ٣).

كما جاءت الشريعة بالتحذير من التهاون في أداء الزكاة، حيث يقول سبحانه: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (آل عمران: ١٨٠)، ويقول جل شأنه: (وَالذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أليمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) (التوبة: ٣٤، ٣٥)، ويقول سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما): ثلاث آيات مقرونات بثلاث، ولا تقبل واحدة بغير قرينتها،(وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُول) (النساء: ٥٩) فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه، (وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) (البقرة : ٤٣) فمن صلى ولم يزكِّ لم يُقبَل منه ، (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالدَيْكَ) (لقمان: ١٤) فمن شكر لله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه (تفسير بحر العلوم للسمرقندي).

ولا شك أنَّ الصدقات تدعم دور الزكاة في تحقيق دورها المجتمعي، لذلك جاء الشرع الحنيف بالحث عليها والترغيب فيها ، حيث قال نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ فِي المَال لَحَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ) (سنن الترمذي)،

ثُمَّ تَلا قول الله تعالى: (لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلَائِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ...)(البقرة: ١٧٧).

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن للزكاةِ والصدقاتِ ثمراتٍ عظيمةً، منها: حصول البركة والأجر العظيم، حيث يقول سبحانه : (يَمْحَقُ الله الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ)(البقرة: ٢٧٦)، ويقول تعالى : (إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٢٧٧)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الآخَرُ : اللهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا) (صحيح البخاري).

ومنها: أنها سبب من أسباب العافية ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ) (السنن الكبرى للبيهقي)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ) (سنن الترمذي).

وللزكاة دور كبير في تحقيق التوازن المجتمعي وتحقيق التنمية المجتمعية ، ويتسع الأمر اتساعًا كبيرًا في مجال الصدقات ، سواء أكانت

صدقات جارية، أم صدقات عامة ، أم في صورة مشروعات ومبادرات ، كمشروع صكوك الأضاحي ، أو صكوك الإطعام ، أو مشروعات الكساء وتأهيل المنازل أو توفير فرص العمل ، وغير ذلك من وجوه البر التي تسهم في تحقيق الرعاية الإنسانية للأسر الأولى بالرعاية أو التنمية المجتمعية لها وللمناطق الأولى بالرعاية .

فما أحوجنا إلى تحقيق معاني البر والصلة والتكافل المجتمعي ، حتى تَسُود المحبَّة ، ويعم الإخاء ، وتتحقق التنمية.

اللهم احفظ بلادنا مصر وسائر بلاد العالمين.

* * *

منزلة الشهداء عند ربهم

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (وَلا تَحْسَبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ المُؤْمِنِينَ) (آل عمران: ١٦٩-١٧١)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ ، وعلى آله وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن الشهادة في سبيل الله (عز وجل) مقامٌ من أعلى المقامات ، وقُربَةٌ من أجَلِّ القربات ، وهي اصطفاء من الله (جل شأنه) لأبطال ضحوا بأنفسهم في سبيل نصرة الحق والدفاع عنه ، ورغبة في حفظ الوطن، وأمن أهله ، وسلامة أراضيه ، يقول تعالى:(وَلِيَعْلَمَ اللهُ الذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ) (آل عمران: ١٤٠).

لذلك خصَّ الله سبحانه الشهداء بمنازل عالية ، وفضائل عظيمة ، وكرامات فريدة ، ولا أدل على ذلك من قول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ) (صحيح البخاري).

ومن منزلة الشهداء : أنهم أحياء عند ربهم ، حياةً تفوق إدراك البشر، حيث يقول تعالى : (وَلا تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ) (البقرة : ١٥٤) ، وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله (رضي الله

عنهما) قال: لَقِيَنِي رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَال لِي: (يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا)؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي ، وَتَرَكَ عِيَالا وَدَيْنًا، قَال: (أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ)؟ قَال: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، قَال: (مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إلا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا)- أي: من غير حجاب- فَقَال: (يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ)، قَال: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَال الرَّبُّ (عَزَّ وَجَلَّ): (إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إليها لَا يُرْجَعُونَ) (سنن ابن ماجه)، قَال: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (آل عمران: ١٦٩)، وكما أن الشهداء أحياء عند ربهم (عز وجل) فهم أحياء في ذاكرة الوطن، لا تُنسَى بطولاتُهم بمرور الزمان.

ومنها: أن أرواحهم منعَّمة عند ربهم سبحانه ، تسرح في الجنة كيف شاءت ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ ، جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا ، وَتَأْوِي إلى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ العَرْشِ) (سنن أبي داود).

ومنها : أنهم أصحاب الأجر العظيم ، والنور التام يوم القيامة ، حيث يقول تعالى: (وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) (الحديد: ١٩)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لأُمِّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ (رضي الله عنها) حينما سألت عن مصير حَارِثَةَ (رضي الله عنه)، وكَانَ قد استُشْهِدَ يَوْمَ بَدْرٍ: (يَا أُمَّ حَارِثَةَ ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى) (صحيح البخاري).

ومنها: أنهم يشفعون في أهلهم يوم القيامة ؛ جزاء من الله (عز وجل) على حسن تربيتهم وإعدادهم ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَشْفَعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ) (سنن أبي داود).

ومنها: أنهم لا تنقطع أجور أعمالهم ، بل تُوفَّى لهم ، وتتضاعف ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ) (سنن الترمذي).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لا شك أنَّ منزلة الشهداء إنما يستحقها الشهيد الحق ، الذي عرف الحق، وأخلص له ، ودافع عنه ، وضحَّى من أجله ، والشهيد الحق هو من مات دفاعًا عن أرضه ، وعرضه ، ووطنه ، وأمن وسلامة أهله ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ ، أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) (سنن أبي داود).

على أننا نؤكد أن الوفاء لأرواح شهدائنا يتطلب منا أن نكون جنودًا لهذا الوطن العظيم كل في مجاله ، وأنْ يبذل كل منا أقصى طاقته في خدمته ، وأنْ نقف صفًّا واحدًا ، وعلى قلب رجلٍ واحدٍ خلف جيشنا وشرطتنا وسائر المؤسسات الوطنية ، راجين أجر الشهادة عند الله (عز

وجل)، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ سَأَلَ الله الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ ، بَلَّغَهُ الله مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ) (صحيح مسلم).

اللهم احفظ مصر وسائر بلاد العالمين.

❊ ❊ ❊

التكافل المجتمعي
((حقوق الوالدين والمسنين والضعفاء أنموذجًا))

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة : ١٩٥) ، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن رسالة الإسلام رسالة إنسانية ، وبرّ ، ورحمة ، ورُقِيٍّ ، تهدف إلى أن يحيا الناس حياة كريمة في ظل مجتمع متعاون متكافل ، على أساسٍ من المواساة والشعور بالآخرين ، والبعد عن مظاهر الأنانية والأثرة والجشع ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إلى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ) (المعجم الكبير للطبراني)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ لِله عِنْدَ أَقْوَامٍ نِعِمًا يُقِرُّهَا عِنْدَهُمْ مَا كَانُوا فِي حَوَائِجِ النَّاسِ ، مَا لَمْ يَمَلُّوهُمْ فَإِذَا مَلُّوهُمْ نَقَلَهَا مِنْ عِنْدِهِمْ إلى غَيْرِهِمْ) (المعجم الأوسط للطبراني) .

وإذا كانت تلك القيم الدينية والإنسانية والمجتمعية مطلوبة بين الناس جميعًا، فإنها تكون أكثر أهمية وثوابًا وقت الشدائد والأزمات ، وأكثر تأكدًا تجاه الضعفاء والأولى بالرعاية ، وإذا كانت الصدقة على الفقير صدقة فإنها على ذي الرحم صدقة وصلة.

أما حق الوالدين وبرهما فشيء لا نظير له ، فقد أمرنا الحق سبحانه وتعالى بتمام البر والإكرام لهما ، حيث يقول (عز وجل) في كتابه العزيـز:

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلّا تَعْبُدُوا إلّا إِيَّاهُ وَبِالوَالدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَهمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (الإسراء: ٢٣، ٢٤).

ولا شك أنَّ بر الوالدين دأب أهل الفطر السوية ، وهو مما اتفقت عليه الشرائع السماوية ، كما أنه خلق الأنبياء والمرسلين ، فهذا نبي الله (يحيى) عليه السلام يقول الله سبحانه في حقه: (وَبَرًّا بِوَالدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا) (مريم: ١٤)، ويقول تعالى على لسان عيسى (عليه السلام) : (وَبَرًّا بِوَالدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) (مريم: ٣٢)، وقد زَارَ نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَبْرَ أُمِّهِ ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَن حَوْلَهُ ؛ برًّا بها وشوقًا إليها.

وللوالدين على الأبناء حقوق عديدة ، منها : كمال التوقير والاحترام والطاعة ، حيث يقول الحق سبحانه : (واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) (الإسراء: ٢٤)، وقد رأى سيدنا أبو هريرة (رضي الله عنه) رجلين، فقال لأحدهما : ما هذا منك ؟ فقال: أبي ، فقال : لا تسمِّه بِاسْمِهِ ، ولَا تَمْشِ أَمَامَهُ ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ) (الأدب المفرد للبخاري).

ومنها: المبالغة في الإحسان إليهما عند الكِبَر ، وهذا من ردّ الجميل لعطائهما غير المحدود ، حيث يقول الحق سبحانه : (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (الإسراء: ٢٣، ٢٤).

على أننا نؤكد أن الموفَّق هو من استجلب دعوة أبويه بالإحسان إليهما ،

فتتحقق سعادته في الدنيا والآخرة ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (ثَلاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ لا شَكَّ فِيهِنَّ : دَعْوَةُ المَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ لِوَلَدِهِ) (سنن ابن ماجه)، فدعوة الوالد لولده لا تُرد ولا تموت ، أما مَن لا خير فيه لأبويه فلا خير فيه أصلًا ، لا يعاشَر ، ولا يصاحَب ، ولا يؤمَن غدرُه .

❊ ❊ ❊

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن الشريعة الغراء كما أكدت على بر الوالدين ، فقد أوصت بإكرام المسنين والضعفاء ، وتوفيتهم حقوقهم من التوقير والاحترام والرعاية ، حتى جعلت إكرامهم من تعظيم الخالق (عز وجل)، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ مِنْ إِجْلال اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ) (الأدب المفرد للبخاري)، فالمسِّون هم أهل للتقديم والتكبير والتبجيل ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا) (سنن الترمذي)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ) (صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لمن أراد أن يتقدم في الكلام قبل رجلٍ كبير السن : (كَبِّرِ الكُبْرَ) أي: اقدر التقدُّم في العمر قدرَه، ولا تتكلم قبل الكبير.

ولقد بلغ من رقي هذا الدين أنه لم يفرق بين المسنين والضعفاء باختلاف دياناتهم أو أعراقهم في الإكرام والإحسان وطيب المعاملة ؛ فعندما مَرَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بِشَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، يَسْأَلُ عَلَى أَبْوَابِ

النَّاسِ، فَقَالَ:" مَا أَنْصَفْنَاكَ إِنْ كُنَّا أَخَذْنَا مِنْكَ الْجِزْيَةَ فِي شَبِيبَتِكَ، ثُمَّ ضَيَّعْنَاكَ فِي كِبَرِكَ. قَالَ: ثُمَّ أَجْرَى عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا يُصْلِحُهُ"(الأموال لابن زنجويه)، فما أحوجنا إلى ترسيخ قيم التكافل والاحترام والاعتراف بالفضل، حتى تتحقق الألفة والمودة في المجتمع كله.

اللهم اجعلنا بارين بآبائنا وأمهاتنا، واحفظ مصرنا وسائر بلاد العالمين.

❊ ❊ ❊

التاجر الأمين

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: ١١٩)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن الإسلام دين يدعو إلى الكسب والعمل ، ويحذر من البطالة والخمول والكسل ، والعمل هو السبيل إلى إعمار الأرض ، وتقدم الأوطان، وبناء الحضارات ، حيث يقول الحق سبحانه: (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود: ٦١)، وصور الكسب الحلال كثيرة متنوعة، ومن أفضلها التجارة ، حيث سمى الحق سبحانه أرباحَها في القرآن (فضلَ الله)، وقرن سبحانه ذِكرَ الضاربين في الأرض للتجارة بالمجاهدين في سبيل الله؛ حيث يقول سبحانه: (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ) (المزمل: ٢٠)، وقد سئل نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أيُّ الكسبِ أطيَبُ ؟ فقال: (عملُ الرَّجلِ بيدِه ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ) (السنن الكبرى للبيهقي).

ويكفي التجار شرفًا أن نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تاجر مع عمه أبي طالب ؛ ومع أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها)، فكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خير مثال للتاجر الأمين ، حيث وصفه السَّائب بن أبي السَّائب (رضي الله عنه) بقوله : (كُنتَ شريكي في الجاهليَّةِ ، فَكنتَ خيرَ شريكٍ ؛ لا تُداريني ، ولا تُماريني ، فلم يكن (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يخْفِي عيبًا في

سلعة ، ولا يجادِل بالباطل) (سنن ابن ماجه).

وللتاجر الأمين صفات حميدة، وخصال شريفة ينبغي أن يتحلى بها، منها: الصدق في البيع والشراء، والصدقُ يورث البركة في التجارة، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا)(سنن الترمذي).

أما التاجر الكذوب الذي يبيع آخرته بدنياه، فهو من الخاسرين في الدنيا والآخرة، فلا بركة في ماله، ولا نفع في كسبه، ولا يُقبل منه عملُه، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اليَمِينُ الكاذبةُ مُنفِّقَةٌ للسلعةِ، مُمحِقةٌ للبركةِ) (مسند البزار)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِذَا أَدَّيْتَ الزَّكَاةَ فَقَدْ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ وَمَنْ جَمَعَ مَالًا حَرَامًا ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ وَكَانَ إِصْرُهُ عَلَيْهِ) (السنن الكبرى للبيهقي).

ومن صفات التاجر الأمين: تمام الأمانة والبيان في البيع والشراء ، فالتاجر الأمين لا يغش ولا يخدع ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ ، وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ بَاعَ مِنْ أَخِيهِ بَيْعًا فِيهِ عَيْبٌ إِلا بَيَّنَهُ لَهُ)(سنن ابن ماجه)، وقد مَرَّ نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟! قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي) (صحيح مسلم).

ومنها: السماحة في البيع والشراء ، والتحلي بمكارم الأخلاق ، وحسن المعاملة ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى) (صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أو بمن تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ) (سنن الترمذي).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

ومن صفات التاجر الأمين: الوطنية الصادقة ، وهي ليست أقوالًا أو مجرد شعارات تُرفَع ، إنما هي عطاء وتضحيات ، فالتاجر الوطني الحكيم ينطلق في معاملاته من التزام ديني وشعور إنساني ، فلا يبيح لنفسه أن تكثر ثروته في أوقات الأزمات على حساب الفقراء والمحتاجين ؛ لذلك فهو يبتعد عن كل صور الجشع والغش والاحتكار والاستغلال ، فإذا كانت هذه الأدواء مرفوضة مذمومة خبيثة في كل وقت فإنها في وقت الأزمات أشد جرمًا وإثمًا، حيث يقول سبحانه : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) (المطففين: ١-٣)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ ، وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ) (سنن ابن ماجه)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَن دخلَ في شيءٍ من أسعارِ المسلمينَ ليُغْلِيَهُ عليهِم فإنَّ حقًّا علَى الله تبارَكَ وتعالَى أن يُقْعِدَهُ بعِظَمٍ منَ النَّارِ يومَ القيامةِ) (مسند أحمد).

على أننا نؤكد أن التاجر الصدوق الأمين إذا خفَّض هامش ربحه إلى أدنى درجة ممكنة في وقت الأزمات ، فإن ما يخفِّضه صدقة له بنيَّته ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ

النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ) (سنن الترمذي)، ذلك لأن من يقدم الآخرة على العاجلة ، ولا يحتكر ولا يغش ، ويُراعي أحوال الناس ، حُقَّ له أن يكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ، كما نؤكد أن التاجر الصادق الأمين يرفعه صدقه وأمانته وحرصه على المجتمع ومراعاته لظروف الناس بقدر ما ترفعه صلاته وصدقته وعبادته لله تعالى .

اللهم احفظ مصر وسائر بلاد العالمين.

❊ ❊ ❊

الصانع المتقن

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة : ١٩٥)، وأَشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد:

فإن للصناعة شأنًا عظيمًا ومكانة عالية ، فهي أساس نهضة الأمم وتطورها ، وبازدهارها تتوفر فرص العمل ، ويتحقق التقدم الاقتصادي ، والرقي المعيشي ؛ والمتأمل في القرآن الكريم يجد إشارات واضحة إلى العديد من الصناعات ؛ تأكيدًا على فضلها وأهميتها ، حيث يقول الحق سبحانه: (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) (الحديد:٢٥)، ويقول سبحانه : (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا) (الأعراف:٢٦)، ويقول تعالى: (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ)(النحل:٨١)، ويقول تعالى: (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) (سبأ : ١٣) ، ويقول تعالى: (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) (النحل:٨٠).

ولشرف الصناعة كان صفوة الخلق من أنبياء الله ورسله من أصحاب الصنائع والحرف ، وكانوا مضرب المثل في المهارة والإتقان ، حيث كان سيدنا نوح (عليه السلام) يعمل في صناعة السفن ، يقول سبحانه: (وَاصْنَعِ

الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا)(هود: ٣٧)، وكان سيدنا داود (عليه السلام) حدَّادًا، يقول تعالى: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ) (الأنبياء:٨٠)، وفي سيدنا زكريا (عليه السلام)، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا) (سنن ابن ماجه).

والإتقان والجودة والتميز من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الصانع ؛ ولقد لفت الحق سبحانه أنظارنا إلى الإتقان ، حيث خلق سبحانه كل شيء بإتقان مُعجز، يقول تعالى: (صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) (النمل: ٨٨)، وأوجب علينا سبحانه الإحسان في كل شيء، يقول سبحانه: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة: ١٩٥)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) (سنن أبي داود).

وقد عَرَف عهدُ نَبِيِّنَا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عددًا من المهن والحرف والصناعات الذي سجل جانبًا منها أبو الحسن الخزاعي في كتابه: (تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية)، فذكر فيه : من كان يعلم الطب في عهد الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وذكر النساجين ، والخياطين ، والنجارين ، والحدادين ، والصواغين ، والدباغين ، والخوَّاصين ، والبنائين ، والتجار ، وقد ضمن الكتاب فصلين كاملين ، أحدهما للحرفة والآخر للصناعة.

والصانع المتقن يدفعه إيمانه بالله (عز وجل) ومراقبته له إلى تجويد عمله ، والتميز فيه ، حيث يقول سبحانه : (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا

يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (يونس: ٦١)، كما أنه يمتثل أوامر الله (عز وجل) حيث يقول تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة: ١٠٥)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) (مسند أبي يعلى).

ومن إتقان الصانع سرعةُ إنجازه عملَه في موعده ، وهذا شأن الصُّناع في المجتمعات المتحضرة ، كما أن وفاء الصانع بعمله في الموعد المحدد له صفة كريمة تدل على شرف النفس وقوة العزيمة ، حيث يقول الحق سبحانه : (وَأَوفُوا بِالعَهدِ إِنَّ العَهدَ كَانَ مَسؤُولًا) (الإسراء: ٣٤) ، وقد أمر الله (عز وجل) بها ، وامتدح بها عباده المؤمنين ، حيث يقول سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (المائدة : ١) ، ويقول تعالى : (وَالَّذِينَ هُم لِأَمَانَاتِهِم وَعَهدِهِم رَاعُونَ) (المعارج: ٣٢).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن الصانع المتقن كما أنه ينطلق من دافع ديني فإنه ينطلق أيضًا من دافع وطني ، فإنما يحمله حبه لوطنه ، وإيمانه بدوره في رقيه وتقدمه على إحسان عمله والجودة والتميز فيه ، حيث إن وطننا الغالي مصر في مرحلة دقيقة من تاريخه ، وهذا يقتضي منا جميعًا أن نعمل مجدين مخلصين لنهضة الوطن وتقدمه ، فالجميع بعملهم الجاد المُتقَن في طاعةٍ لله عز

وجل ، ولا ينهض الوطن إلا بالجميع.

على أننا نؤكد أنه لن يحترم الناس ديننا ما لم نتفوق في أمور دنيانا ، فإن تفوقنا في أمور دنيانا احترم الناس ديننا ودنيانا ، وأن الاقتصاد القوي يعني دولة عزيزة شامخة ، ذات مكانة ، وذات كفاية ذاتية ، وهو ما تسير عليه بفضل الله مصرنا العزيزة في جمهوريتنا الجديدة.

اللهم احفظ بلادنا مصر وسائر بلاد العالمين.

❊ ❊ ❊

الزارع المجد

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : (وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) (الأنعام: ١٤١)، وأَشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد:

فإن الزراعة من أهم الركائز الاقتصادية لبناء الدول واستقرارها ؛ فهي صمام الأمان لتوفير الغذاء ، وتحقيق الاكتفاء ، والمتأمل في القرآن الكريم يجد أنه سبحانه ذكر الزراعة في أكثر من موضع ؛ تنبيهًا على أهميتها ، حيث يقول الحق سبحانه : (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ) (الرعد:٤)، ويقول سبحانه : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ) (السجدة : ٢٧).

وقد جعل الشرعُ الحنيفُ الزراعةَ مِن قَبيل العبادة التي تحقق الثواب لصاحبها، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا مِن مُسلم يَغرِسُ غَرْسًا أو يَزرَعُ زَرْعًا فيأكُلُ مِنه طَيرٌ أو إنسَانٌ أو بهيْمَةٌ إلا كان لهُ بهِ صَدَقَةٌ) (صحيح البخاري)، كما أرشدنا نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى المداومة على الزراعة إلى آخر لحظة في الحياة ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنْ قَامَتِ الساعةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلةٌ ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَها فليغرِسْها) (الأدب المفرد للبخاري).

ولشرف الزراعة جعلها الإسلام من الصدقات الجارية التي يمتد ثوابها بعد موت صاحبها ، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (سبعٌ يجري للعبدِ أجرُهنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِه بَعْدَ مَوْتِهِ: مَنْ علَّم عِلْمًا ، أَوْ كَرَى نَهْرًا ، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا ، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا ، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا ، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا ، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِه) (مسند البزار)؛ ذلك أن الزارع شارك في عمارة الحياة ، ولم يعش لنفسه فقط ، إنما عاش مخلصًا ، باذلًا الخير لمجتمعه ولوطنه.

وللزارع المُجد منزلة عظيمة ومكانة سامية ؛ فهو يسهم في قوة الوطن وتحقيق استقراره ، وتحقيق فرص عمل لمواطنيه ؛ فالأمة التي لا تملك غذاءها لا تملك قرارها ، والزارع بجده في زراعته يحقق الفلاح لنفسه ولوطنه ، في همَّة عالية ، وتضحية صادقة ، ممتثلاً قول الحق سبحانه: (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون) (التوبة : ١٠٥)، وملتمسًا دعوة نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا) (سنن أبي داود).

والزارع المجد لا يعرف الارتجال والعشوائية ، إنما يعمل بتخطيط واعٍ، وأخذٍ بأسباب العلم والعمل ، والمتأمل في قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) في القرآن الكريم ، يَلْمَحُ تخطيطًا محكمًا للاقتصاد الزراعي أسسه نبي الله الكريم ، بعدما علم من خلال الرؤيا الصادقة بأزمة غذائية ستصيب المنطقة كلها ، فاقترح خطة إصلاح ونفَّذها ، فكان فيها الخير والبركة على مصر وما حولها ، حيث يقول سبحانه: (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ

فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) (يوسف: ٤٧-٤٩).

كما أن الزارع المجد يستشير أهل الخبرة والعلم والاختصاص في زراعته، ليقدم منتجًا عالي الجودة ينفع وطنه ومجتمعه ، ممتثلًا قول الحق سبحانه: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (النحل: ٤٣)، ومقتديًا بنبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في حديث تأبير النخل حين قال : (أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِمَا يَصْلُحُكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ) (مسند البزار).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن الزارع المجد وطني مخلص ، تحمله وطنيته على أداء دوره في مقاومة محاولات التجريف والتبوير للأراضي الزراعية والبناء عليها ، التي تؤدي إلى نقص المحاصيل ، وزيادة الاستيراد ؛ مما يشكل عبئًا على الدولة ، وهذا ضرر منهي عنه ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ) (مسند أحمد).

كما أن الزارع المجد ينطلق من وطنيته في تسويق محصوله بعد حصاده بلا تأخير ، ولا حبس ، ولا احتكار ، فهو لا يعرف استغلالاً لأزمات الناس ولا متاجرةً بمعاناتهم ، وقد حرم الإسلام كل صور الاحتكار والتضييق على الناس ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا يَحْتَكِرُ

إِلَّا خَاطِئٌ) (صحيح مسلم) ، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أربعين لَيْلَة فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ تعالَى ، وبرِئَ اللهُ تعالَى مِنْه) (مسند أحمد).

اللهم احفظ مصر وسائر بلاد العالمين.

❊ ❊ ❊

المستثمر الوطني

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)(التوبة:١٠٥)، وأَشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد:

فقد حث الشرع الحنيف على استثمار المال وتنميته ؛ لتحقيق تقدم الأوطان ورقيها ، من خلال الاكتفاء الذاتي ، والاستقلال الاقتصادي، وتحقيق التنمية المستدامة ؛ والمتأمل في سيرة نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يجد أنه عندما قدم المدينة المنورة أنشأ سوق "المناخة" ، ليكون سوقًا جديدًا قائمًا على مبادئ الصدق ، والأمانة ؛ والسماحة بيعًا وشراءً ، ومجالًا حيويًّا لتسويق ما ينتجه أهل المدينة ؛ مما كان له أثر عظيم في استقرار (المدينة المنورة) اقتصاديًّا ، وتقدمها حضاريًّا .

وللاستثمار دور مهم في تفعيل الطاقات البشرية ، وتوفير فرص العمل للشباب ، وتدريب الكوادر المهنية ؛ وذلك باب عظيم من أبواب تفريج الكربات ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ نفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا ، نفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ يسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، واللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) (صحيح

البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ لِلَّهِ عَبَّادًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ ، يُقِرُّهُمْ فِيهَا مَا بَذَلُوهَا ، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ) (المعجم الأوسط للطبراني).

وللمستثمر الوطني صفات ينبغي التحلي بها ، منها : إيثاره المصلحة الوطنية العامة على المصلحة الشخصية ، والإسهام في بناء الوطن ، من خلال التحرك في ضوء أولوياته ، زراعية كانت أم صناعية ، وتقديم ما يحتاجه الوطن منها ولو كان أقل ربحًا ، وهو بتلك الروح الوطنية يرجو أجر النفع العام عند الله (عز وجل)، حيث يقول الحق سبحانه: (وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الحج: ٧٧)، ويقول سبحانه : (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ) (الرعد: ١٧).

ومنها : تشجيعه البحث العلمي بجميع مجالاته الإنسانية ، والعلمية ، والطبية ، وغيرها ، وبخاصة ما يتعلق بمجال استثماره ، وهو بذلك يؤدي دوره في تنمية الفرد والمجتمع ، وبناء الشخصية الحضارية ، فالإسلام دين علم وفكر وثقافة ، يحترم العقل البشري ، ويحث على التفوق في العلوم ، واكتساب الخبرات والمعارف الدينية والدنيوية ؛ حيث يقول الحق سبحانه: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق: ١)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ

وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ) (سنن أبي داود).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن على المستثمر الوطني دورًا اجتماعيًّا تجاه وطنه ، من خلال المساهمة في حل المشكلات التي تواجه المجتمع ، وقد كان نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يحث الأغنياء من الصحابة (رضي الله عنهم) على تحقيق ذلك الدور الاجتماعي ، وقد تسابق الصحابة (رضي الله عنهم) في هذا الميدان ، فهذا سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) يشتري بئر رومة ، ويجهز جيش العُسرة للدفاع عن الدين والوطن ، قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ)، فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ ، وَقَالَ: (مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ)، فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ (صحيح البخاري)، حتى قال له نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ) (سنن الترمذي)، ويقول طلحة بن عبد الله بن عوف : كان أهل المدينة عيالًا على عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) ، ثلث يقرضهم ماله ، وثلث يقضي دينه ، ويصل ثلثًا (التاريخ الصغير للبخاري).

على أننا نؤكد أن المستثمر الوطني الغيور على مجتمعه وبلده يستحق منا حكومة وشعبًا الدعم الكامل ، والتشجيع والمساندة ؛ حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ) (سنن أبي داود).

فضلًا عن أن المستثمر إذا قصد وجه الله (عز وجل) وخدمة وطنه ، فإنه يكون على ثغر عظيم من ثغور الدين والوطن ، يقوم فيه بتأدية ما يتطلبه وطنه ، فإذا تعاونت اتحادات المستثمرين في ذلك قامت مجتمعةً بحاجات أوطانها ، وسدت كفاياتها في مختلف المجالات ، وذلك أمر ثوابه عظيم عند الله (عز وجل).

اللهم احفظ بلادنا مصر وسائر بلاد العالمين .

*   *   *

من دروس الهجرة النبوية المشرفة
التخطيط واعتماد الكفاءات

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٤٠)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن الهجرة النبوية المشرفة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة حافلة بالدروس والعبر ، فهي أعظم نقطة تحول فى تاريخ الإسلام ، ومن أهم الدروس التي ينبغي أن نقف عندها: التخطيط المحكم ، والترتيب الدقيق لكل تفاصيل هذه الرحلة المباركة، فالتخطيط وسيلة علمية لتخطي الأزمات ، وضرورة من ضرورات النجاح ، ويبدو ذلك جليًّا حين جهز نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) راحلتين للهجرة المباركة ، واختار (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الصِّدِّيقَ أبا بكر (رضي الله عنه) رفيقًا للرحلة، كما اختار (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وقت الليل لكونه وقتًا مناسبًا للخروج من مكة. (السيرة لابن هشام).

كما أن المتأمل في أحداث الهجرة النبوية المشرفة يرى كيف وزَّع نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الأدوار والمهام بمنتهى الدقة والإحكام ، حين أمر

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سيدَنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن ينام في فراشه ، متسجيًا ببردته ؛ ليردّ الأمانات والودائع إلى أصحابها ، وحتى يشغل المشركين عن تتبعه وقت خروجه.

ويبدو كذلك اهتمام نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالتخطيط والأخذ بالأسباب في الهجرة النبوية المشرفة حين أتى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) صاحبَه أبا بكر (رضي الله عنه) في ساعةٍ لم يكن يأتيه فيها؛ ليخرجا مهاجرَين ، بعد أن كلَّف عبدَ الله بن أبي بكر (رضي الله عنهما) ليستطلع أخبار قريش ، وليطلع على ما يدبرونه من مكائد لقافلة الهجرة ، فكان يتسمَّع نهارًا تدبير قريش ، ويذهب ليلًا ليبيت مع النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وصاحبه في الغار ، ثم يعود في الصباح إلى مكة مرة أخرى (السيرة لابن هشام).

كما جهَّز سيدُنا أبو بكر (رضي الله عنه) خادمَه عامر بن فهيرة (رضي الله عنه) ليمد نبيَّنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) باللبن من خلال رعي غنمه قريبًا من الغار ، وليمحو بسير غنمه آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر ، إلى جانب هذا كانت السيدة أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) ذات النطاقين تشق طريقها بالطعام إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وصاحبه في غار ثور. (السيرة لابن هشام).

*　　*　　*

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن من أهم الدروس في الهجرة النبوية المشرفة اعتماد الكفاءات للقيام

بالمهام التي تتناسب مع قدراتهم ، حيث استأجر نبيُّنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رجلًا ليدلهما على الطريق إلى المدينة من طريق وعرة غير مأهولة ولا معتادة ، وهو عبد الله بن أريقط ، وكان على غير دين الإسلام ، ولكن وقع اختيار نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عليه ؛ إيمانًا منه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بتقديم الكفاءات ، واستثمار الطاقات ، مهما اختلفت الأفكار والرؤى أو حتى العقائد ، فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: (وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا...هَادِيًا... فَأَمِنَاهُ ، فَدَفَعَا إليه رَاحِلَتَيْهِمَا ، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَال ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ...) (صحيح البخاري).

كل ذلك يعلمنا ضرورة الأخذ بالأسباب بالتخطيط الجيد واعتماد الكفاءات للأمور كلها ، وخصوصًا العظيمة منها ، وأن ذلك لا ينافي صدق التوكل على الله (عز وجل)، فلو شاء نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لدعا الله (عز وجل) أن يهديه إلى المدينة بلا دليل ، ولكنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مع علمه الكامل بربه يعلمنا الأخذ بالأسباب ، وأن نعدّ لكل أمر عدته ، ثم نترك أمر النتائج لله (عزّ وجلّ) يقدرها كيف يشاء ، ويتجلَّى ذلك حين أخذ نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بكل أسباب النجاح والنصر ، ثم قال لصاحبه أبي بكر (رضي الله عنه) حيث كان يطارده المشركون : (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا) (التوبة: ٤٠)، فكافأه الله (عز وجل)، (فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٤٠).

اللهم ارزقنا حسن التأسي بنبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

* * *

من دروس الهجرة النبوية
(المسجد والسوق والعلاقة بينهما)

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: (مَنْ عَمِلَ صَالحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) (النحل: ٩٧)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فقد جاءت الشريعة الإسلامية بمنهج وسطي متكامل ، يقيم التوازن في حياة الناس بين العبادة والعمل ، ويحرص على ما ينفعهم في عاجلهم وآجلهم ، ومعاشهم ومعادهم ، حيث يقول (عز وجل) : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (البقرة: ١٤٣) ويقول سبحانه: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) (القصص: ٧٧)، ويقول تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الجمعة: ١٠).

لذلك كان أول ما حرص عليه نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بعد هجرته المشرفة ، واستقراره بالمدينة المنورة ، هو بناء المسجد ، وإقامة السوق؛ ليكونا أول قواعد بناء الدولة ، وليؤكد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على العلاقة بين المسجد والسوق ، وبمعنى أدق بين العبادة والعمل ، ففي المسجد يربَّى المسلم على تقوية علاقته بخالقه (عز وجل)؛ وتتكون شخصيته السوية التي تبني ولا تهدم ، وتعمر ولا تخرب ، كما أن المسجد مصدرٌ لبث روح

التآلف بين الناس ، وتعميق معاني الأخوة، والألفة والرحمة بينهم، فتنعكس هذه القيم على الفرد والمجتمع، في تعاملاتهم، وسائر جوانب حياتهم.

ويأتي إنشاء السوق إشارة واضحة إلى أهمية الاقتصاد في بناء الدول؛ فالاقتصاد القوي من أهم دعائم الدولة وركائزها الرئيسة التي لا تزدهر إلا بها؛ على أساس من القيم النبيلة ، والضوابط المنظمة، التي تضبط حركته وتعاملاته، والتي يتعلمها الناس من خلال المسجد؛ تحقيقًا لرسالة الإسلام المتكاملة.

لقد حرص نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على أن يكون مجتمع المدينة مجتمعًا متوازنًا لا يطغى فيه شيء على حساب شيء آخر ، فيؤدي فيه المسجد دوره الديني والتعليمي ، ليتحقق إعمار الدنيا بالدين ، حيث يقول عز وجل: (هُوَ أَنْشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود: ٦١)، ويقول سبحانه: (هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك: ١٥)، ويقول(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ) (صحيح مسلم)، وحين مرّ على نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رجلٌ رأى الصحابة (رضي الله عنهم) من جلَدِه ونشاطِه ، فقالوا: يا رسولَ اللهِ ، لو كان هذا في سبيلِ اللهِ؟ فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ) (المعجم الكبير للطبراني).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لقد سعى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى إقامة سوق كبيرة بالمدينة؛ ليكون مصدرًا للكسب المشروع والتجارة، ومقرًّا لأرباب الصناعات والحرف، فعن عطاء بن يسار (رضي الله عنه) قال: (لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ يَجْعَلَ لِلْمَدِينَةِ سُوقًا ، أَتَى سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، ثُمَّ جَاءَ سُوقَ المَدِينَةِ ، وَقَالَ: (هَذَا سُوقُكُمْ ، فَلا يُضَيَّقُ) (تاريخ المدينة لابن شبة)، فاختاره (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) للمسلمين وحدد موقعه ليخلصهم من سيطرة اليهود على اقتصاد المدينة.

وقد كان نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يتفقد السوق بنفسه ، ويتابع حركة البيع والشراء ، ويوجه الناس إلى ما فيه صلاح حالهم ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ مِنْ طَعَامٍ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا ، فقَال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ، مَا هَذَا؟)، قَال: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله ، قَال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ)، ثُمَّ قَال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا) (سنن الترمذي).

وكذلك فعل أصحاب نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من بعده ، فقد استعمل سيدنا عمر (رضي الله عنه) الشِّفَاءَ بنت عبد الله (رضي الله عنها) على السُّوق. (الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم)؛ لتضبط شئونه ، وتنظم تعاملاته ، وهناك في الفقه الإسلامي ما يعرف بالولاية على الأسواق؛ للرقابة عليها ، ومنع وقوع الغش ، واحتكار البضائع ، وغير ذلك من المخالفات.

فما أحوجنا إلى إدراك العلاقة بين العبادة والعمل ، حتى يتحقق لدنيانا الصلاح والإصلاح ، ونحقق مفهوم الإسلام الشامل ، الذي يحمل الخير للبشرية كلها ، تأسيًا بنبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الذي كان يدعو ربه (عز وجل)، فيقول: (اللهمَّ أَصْلِحْ لي دِينِي الذي هو عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ التي فِيهَا معاشِي ، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتي التي فِيهَا معادِي) (صحيح مسلم).

اللهم أَمِنَّا في أوطاننا واحفظ مصرنا وسائر بلاد العالمين.

*   *   *

□الإسراء والمعراج وآيات الله الكبرى

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الإسراء: ١)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإنّ رحلة الإسراء والمعراج معجزة كبرى دالة على مدى القدرة المطلقة لله تعالى ، فهو سبحانه خالق الأسباب والمسببات ، وما كان عجيبًا في دنيا الناس فليس عجيبًا عند الله: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس: ٨٢)، وقد أيَّد الله (عز وجل) بهذه الرحلة المباركة حبيبه المصطفى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حيث ارتقى به من عالم الأرض إلى عالم السماء ، وأوصله إلى سدرة المنتهى ؛ ليريه من آياته الكبرى وعجائب قدرته العظمى.

وهذه الآيات الكبرى منها ما علمناه ، ومنها ما لم نعلمه ، حيث أسرى سبحانه وتعالى بنبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى السماوات العلا ، ومنها إلى المسجد الأقصى فالمسجد الحرام مرة أخرى ، في ليلة واحدة ؛ إنها القدرة الإلهية المطلقة لا شيء سواها.

ولقد رأى نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في ملكوت السماوات من عجائب قدرة الله سبحانه وتعالى ما رأى ، ويلفت القرآن الكريم نظرنا إلى آيات

الله الكبرى، حيث يقول تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ) (فصلت: ٥٣).

ومن هذه الآيات الكبرى: تسخير الله (عز وجل) البراق لرسولنا (عليه الصلاة والسلام) ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أُتيتُ بالبُراقِ، وهو دابَّةٌ أبيضُ طويلٌ، يضعُ حافرَه عند مُنتهَى طرْفِه) (صحيح مسلم)، وفي هذا من دلائل قدرة الله تعالى ما فيه ، كما فيه تعليم نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) درس الأخذ بالأسباب ، فقد كان سبحانه قادرًا على أن يسري به من غير وسيلة ولا سبب أصلا.

ومنها: لقاؤه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالأنبياء والمرسلين، حين أحياهم الله تعالى له فصلُّوا خلفه في المسجد الأقصى ، والتقى بمن التقى بهم في السماوات العلا، فرحبوا به جميعًا ، ودعوا له بخير، وهذا وفاء منهم لعهدهم وميثاقهم مع الله سبحانه، في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (آل عمران: ٨١).

ومنها: رؤيته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) البيتَ المعمورَ في السماء ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (فإذا أنا بإبراهيمَ مُسنِدًا ظهرَه إلى البيتِ المعمورِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ ملَكٍ لا يَعُودُونَ إليه) (صحيح مسلم)، وقد أقسم الله (عز وجل) به في القرآن لشرفه وعظمته، حيث يقول سبحانه: (وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ* وَالبَيْتِ المَعْمُورِ) (الطور: ١-٤).

ومنها: بلوغه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سدرة المنتهى ، وهذا من تكريم الله تعالى لنبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حيث يقول سبحانه: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) (النجم: ١١-١٦).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لقد كانت رحلة الإسراء والمعراج تكريمًا إلهيًّا لنبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بعد كل ما تعرّض له من محنٍ وشدائد ، فكانت نفحةً تُذْهِب الكرب ، وتثبّت القلب ، وتطمئن النفس ، حيث يقول سبحانه : (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (الشرح: ٥، ٦).

وقد أطلع الله (عز وجل) نبيّه فيها على حقائقَ غيبيةٍ ، وأسرارٍ كونيةٍ ، إعلامًا له (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بأنه في معية الله (عز وجل) وكفالته وعصمته ، ولله درّ الإمام البوصيري حين قال:

سريتَ من حرمٍ ليلاً إلى حرمٍ كما سرى البدرُ في داجٍ من الظُّلَمِ
وَبِتَّ تَرْقَى إلى أنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً من قابِ قوسينِ لم تدركْ ولم ترمِ
وقدَّمتكَ جميعُ الأنبياءِ بها والرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

اللهم ارزقنا التأسي بنبيك (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في الدنيا وشفاعته في الآخرة.

* * *

الإسراء والمعراج وفرضية الصلاة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) (البقرة: ٤٣)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فقد كانت رحلة الإسراء والمعراج حافلةً بالمنح الإلهية ، والعطايا الربّانية التي اختص الله (عز وجل) بها هذه الأمة ، ومن أعظمها فريضة الصلاة، تلك الهدية الربانية التي تصل العباد بربهم (عز وجل)، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (ففَرض عليَّ خمسين صلاةً في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فنزلتُ إلى موسى (عليه السلام)، فقال: ما فرض ربُّك على أُمَّتِك؟ قلتُ: خمسين صلاةً ، قال: ارْجِعْ إلى ربِّك فسَلْه التَّخفيفَ ، فإنَّ أُمَّتَك لا تُطيقُ ذلك...فقلتُ: يا ربِّ خَفِّفْ عن أُمَّتي)، فلم يزل نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يراجع ربه (عز وجل) حتى قال له ربه سبحانه: (إنهنَّ خمسُ صلواتٍ كلَّ يومٍ وليلةٍ لكلِّ صلاةٍ عشرٌ ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً) (صحيح مسلم).

وفي فرض الصلاة ليلة المعراج من فوق سبع سماوات دليلٌ على علوّ قدرها ومكانتها؛ فالصلاة قرة العيون ، وحياة القلوب ، ولذة الأرواح ، وهي معراج إيماني ، يترقى بها الناس في مدارج القرب من رب العالمين، حيث يقول الحق سبحانه: (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (العلق: ١٩)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَقْرَبُ ما يَكونُ العَبْدُ مِن رَبِّهِ وهو ساجِدٌ) (صحيح مسلم)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ ، فَإِنَّكَ لا تَسْجُدُ للهِ

سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَك اللهُ بِهَا دَرَجةً ، وَحَطَّ بِهَا عَنْكَ خَطِيئَةً) (مسند أحمد).

كما أن فرض الصلاة في رحلة المعراج تسرية لنبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بعد تعرُّضه لمحن شديدة في ذلك العام الذي سمي عام الحزن ؛ وفي هذا إشارة إلى أنّ الصلاةَ سببٌ لطمأنينة القلب ، وانشراح الصدر ، وقرة العينِ ، وهي عون من الله (عز وجل) في الشدائد ، حيث يقول سبحانه: (وَلَقَد نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ) (الحجر: ٩٧-٩٩)، ويقول سبحانه: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) (البقرة: ٤٥)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (وجُعِلَت قُرَّةُ عَيني في الصَّلاةِ) (سنن النسائي)، وكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول لسيدنا بلال (رضي الله عنه): (يَا بِلال ، أَقِمِ الصَّلاةَ ، أَرِحْنا بها) (سنن أبي داود).

وفي تخفيف الله (عز وجل) الصلاة عن الأمة المحمدية بيانٌ لكمال رحمته سبحانه بخلقه ؛ ودلالة على ما تتميز به الشريعة من اليسر ، ورفع الحرج والمشقة ، حيث يقول سبحانه: (لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة: ٢٨٦)، ويقول سبحانه : (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ) (البقرة: ١٨٥)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ) (صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا ولا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا) (صحيح مسلم) .

كما أن في قول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إلى مُوسَى، فَأَخْبَرْتُه ، فَقَال: ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَسَلْه التَّخفيفَ ، فقلتُ : قَدْ رَجَعْتُ إلى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ) (صحيح مسلم) دلالة عظيمة على عظم

أخلاق نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ومنها خلق الحياء ، يقول سيدنا أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) : (كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ) (صحيح البخاري).

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لا شك أنَّ الصلاة مناجاة بين الناس وخالقهم سبحانه، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (قَال اللهُ تَعَالى: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأل ، فَإِذَا قَال العَبْدُ: (الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ)، قَال اللهُ تَعَالى: حَمِدَنِي عَبْدِي ، وَإِذَا قَال: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، قَال اللهُ تَعَالى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، وَإِذَا قَال: (مَالكِ يَوْمِ الدِّينِ)، قَال: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَال: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، قَال: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأل ، فَإِذَا قَال: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالينَ)، قَال: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأل) (صحيح مسلم).

كما أن للصلاة أثرًا عجيبًا في تهذيب النفس ، وتقويم السلوك ، والتحلّي بمكارم الأخلاق ، حيث يقول الحق سبحانه: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) (العنكبوت : ٤٥)، كما أنها تعوّد المسلمَ الإحسانَ للناس جميعًا ؛ لذلك جاءت مقترنةً بالخلق الحسن والقول الحسن في قول الله سبحانه: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) (البقرة: ٨٣)،

فالمصلّي الحق لا يمكن أن يكون كذَّابًا ولا غشَّاشًا ، ولا خدَّاعًا ، ولا خائنًا، ولا غدَّارًا ، ولا مخلفًا للوعد ؛ بل هو أخلاق وقيم تتحرك على الأرض وفق منهج الله وشريعته.

اللهم اجعلنا مقيمي الصلاة ومن ذرياتنا ربنا وتقبل دعاء.

❊ ❊ ❊

تحويل القبلة وعلاقته بمفهوم ومقاصد الإسلام

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) (البقرة: ١٤٤)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن شهر شعبان شهر عظيم مبارك ، تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين؛ لذلك كان نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يخصه بمزيد من الأعمال الصالحة، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن شهر شعبان: (وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ) (سنن النسائي).

وقد حمل شهر شعبان المبارك حدثًا عظيمًا في تاريخ الإسلام ، وذلك أن نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ظل يصلي تجاه المسجد الأقصى نحو ستة عشر شهرًا ، أو سبعة عشر شهرًا ، وكان يؤمِّل أن تكون قبلتُه أولَ بيت وُضع للناس بيت الله الحرام ببلده مكةَ ، وكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقلِّب وجهه في السماء راجيًا ومؤمِّلًا ذلك ، وهنا كان الكرم الإلهي ، حيث يقول الحق سبحانه: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) (البقرة: ١٤٤).

وإن المتأمل في تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام يجد دليلاً على أن الأمور بمقاصدها ، فإن مقصد الصلاة هو تحقيق

ذكر الله (عز وجل) وتعظيمه ، وتزكية نفس المصلي بالأخلاق الفاضلة، حيث يقول الحق سبحانه: (وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي)(طه: ١٤)، ويقول تعالى: (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ) (العنكبوت: ٤٥)، وذلك مهما اختلفت الجهات التي حددها الحق(تبارك وتعالى) للصلاة ، حيث يقول سبحانه: (لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المشْرِقِ وَالمغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالملَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالمسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالموفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المتَّقُونَ) (البقرة: ١٧٧)، ويقول سبحانه: (وَللهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ١١٥)، ويقول تعالى: (قُلْ للهِ المشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة: ١٤٢).

ولا شك أنَّ التوجه نحو بيت الله الحرام في الصلاة هو عين الاتباع الذي لا تصح الصلاة بدونه ، لكننا نؤكد أن الحكم التشريعية لا تتعلق بالتوجه إلى هنا أو هناك ، إنما تتعلق بالاستجابة للأمر والامتثال له متى أُمرنا ، وحيث أُمرنا ، وكيف أُمرنا ، وليس في ذات الشرق أو الغرب ، فوراء الوِجْهةِ الحسيةِ وِجْهةٌ أخرى معنوية تتمثل في حسن القصد وحسن التوجه إلى الله (عز وجل)، وهي ميزان الاستقامة الحقيقي.

فمن أدرك حقيقة الوقوف بين يدي الله (عز وجل) وحسن التوجه إليه خمس مرات في كل يوم وليلة لا يمكن أن يكون كذابًا ولا غشاشًا ولا مخلفًا للوعد ولا خائنًا ، فغاية العبادات – مع تحقيق مراد الله (عز وجل)

منها والاستجابة لأمره بها – ضبط سلوك وأخلاق وقيم صاحبها ، فديننا دين المعاملة ومكارم الأخلاق ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إنَّما بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ) (مسند البزار).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن المتأمل في هذه الحادثة العظيمة يكشف عن علاقتها بمفهوم ومقاصد الإسلام ، فالإسلام دين الوسطية والاعتدال ، لا غلو ولا تقصير ، ولا تفريط ولا إفراط ، حيث يقول الحق سبحانه: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة: ١٤٣)، ووسطية الإسلام جامعة شاملة ، يتسع مفهومها ليشمل كل مناحي الحياة، فهي وسطية في التفكير والاعتقاد ، في الأخلاق والسلوك ، في النُّظُم والتشريع ، في الأفكار والمشاعر ، في التطبيق والعمل ، حيث يقول الحق سبحانه: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) (الإسراء: ٢٩)، ويقول سبحانه : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) (الفرقان: ٦٧)، ويقول تعالى: (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا) (الإسراء: ١١٠)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلاّ غَلَبَه ، فسَدِّدوا ، وقارِبوا ، وأبْشِروا) (صحيح البخاري).

اللهم احفظ مصر وسائر بلاد العالمين.

* * *

كيف نستقبل الشهر الكريم

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ)(البقرة: ١٨٥)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليَهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن شهر رمضان المبارك حافل بالنفحات الربانية والمنح الإلهية ، فهو خير الشهور ، وفيه خير الليالي ، ونزل فيه خير كتاب من رب العالمين، والمسلمون في شتى بقاع الدنيا في شرف استقبال ذلك الضيف الكريم باغتنام أيامه الفاضلة ، ولياليه العامرة ، وثوابه غير المحدود ؛ حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِها إلى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، قَال اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ): إلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ ، وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ) (صحيح مسلم)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ ومَرَدةُ الجنِّ ، وَغُلِّقتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ ، وفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ فَلَمْ يُغلقْ مِنْهَا بَابٌ ، ويُنادي مُنَادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ ، ويا بَاغِيَ الشرِّ أقْصِرْ ، ولله عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ) (سنن الترمذي).

شهر رمضان هو موسم للمسارعة إلى الخيرات ، والتسامح ، والإصلاح بين الناس ، وحري أن نستقبله بالتراحم والتكافل والتوادد ، والتوسعة على

الفقراء والمساكين ، فقد (كَانَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ) (صحيح البخاري)، فمِن حسنِ استقبال شهر البر والجود والكرم استقباله بإكرام المحتاجين ؛ لنُيسِّر عليهم قدوم الشهر الكريم ، والكريمُ لا يضام ، وأجرُه جِدٌّ عظيمٌ ، حيث يقول الحق سبحانه: (آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) (الحديد: ٧)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إنَّ في الجنَّةِ غرفًا يُرى ظَاهِرُها مِن بَاطِنِها ، وباطنُها من ظاهِرِها ، أَعَدَّها اللهُ لمَنْ أطعم الطَّعامَ ، وأفشى السَّلامَ ، وصلَّى بالليلِ والنَّاسُ نيامٌ) (صحيح ابن حبان).

وينبغي أن يحرص المسلمُ فيه على أداء العبادات والإكثار من الطاعات، كقراءة القرآن وتدبر معانيه ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (صحيح البخاري).

كما ينبغي عليه – أيضًا – أن يحسن الاقتداء برسولنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فيما كان يفعله في هذا الشهر الكريم ؛ كتعجيل الفطر ، وتأخير السحور، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لا تزال أُمَّتي بخيرٍ ما عَجَّلوا الإفطارَ وأخَّروا السُّحورَ) (مسند أحمد)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (تَسَحَّرُوا فإنّ في السَّحُورِ بَرَكَةً)(صحيح البخاري)، كما ينبغي عدم الإسراف في الطعام والشراب، قال الله تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ) (الأعراف: ٣١)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ

وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ؛ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ: فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ) (سنن الترمذي).

ولا شك أنَّ رمضان فرصة عظيمة لصلة الأرحام وإيصال الخير لهم بكل صوره المادية والمعنوية ، وقد أمر الله (عز وجل) بصلة الرحم ، ووعد عليها الأجر العظيم في الدنيا والآخرة ، حيث يقول الحق سبحانه: (وَاتَّقُوا اللهَ الذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء : ١)، ويقول سبحانه: (وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالوَالدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي القُرْبَى) (النساء: ٣٦)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَإِنَّهَا عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ : صَدَقَةٌ ، وَصِلَةٌ) (سنن النسائي)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) (صحيح البخاري).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إنَّ رمضان شهر الجدّ والاجتهاد والعمل ، وليس شهر الخمول والكسل، وتعطيل مصالح الناس ، فلا تعارض بين الاجتهاد في العبادة في شهر رمضان بالصيام ، والقيام ، وقراءة القرآن ، وسائر أنواع العبادة ، وبين الاجتهاد في العمل وعمارة الدنيا وإصلاحها ، حيث يقول سبحانه في شأن صلاة الجمعة: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا البَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ) (الجمعة: ٩،١٠)، ويقول سبحانه في شأن الحج: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ) (البقرة : ١٩٨)، وكان سُفْيَانَ الثوري يَقُولُ: " يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ لَا تَزِيدُوا الْخُشُوعَ عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ فَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ ، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا تَكُونُوا عِيَالًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ" (شعب الإيمان للبيهقي).

فما أحوجنا إلى حسن استقبال شهر رمضان المبارك ، واغتنام أوقاته بما يرضي الله سبحانه من الأعمال النافعة للبلاد والعباد.

اللهم احفظ بلدنا مصر وسائر بلاد العالمين.

* * *

الجوانب الإيمانية والأخلاقية في الصيام

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (وَسَارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ) (آل عمران: ١٣٣، ١٣٤)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فقد شرع الله (عز وجل) الصيام لمقاصد سامية ، وحكم جليلة ، فهو مدرسة للإيمان والأخلاق ، والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن الحق (سبحانه وتعالى) قد ذكر الغاية من الصيام في كتابه العزيز ، حيث يقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٨٣)، والتقوى قيمة جامعة لخصال الخير؛ لذلك جاءت في القرآن الكريم مقترنةً بقيم إيمانية وأخلاقية متنوعة، حيث يقول الحق سبحانه : (لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلَائِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَال عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أُولَئِكَ الذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُون) (البقرة: ١٧٧).

ومن الجوانب الإيمانية والأخلاقية في الصيام قيمة المراقبة ، فإن الصيام سر بين العبد وربه ، لا يطلع عليه أحد غير الله ، وهو دليل يقين الإنسان باطلاع الحق سبحانه عليه في السر والعلن ، حيث يقول سبحانه: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَال ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (يونس: ٦١)، ولمعنى المراقبة كان أجر الصيام عظيمًا لا يعرف قدره إلا الله سبحانه، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِها إلى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ ، قَالَ اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) : إِلَّا الصَّوْمَ ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي) (صحيح مسلم)، وحري بالصائم الذي يراقب ربه في صيامه أن يراقبه (سبحانه) في عمله ، وإنتاجه، وسائر معاملاته في رمضان وغيره .

والصيام مدرسة للصبر بكل صوره ؛ ففي الصيام صبر على أداء الطاعات ، وصبر على اجتناب المحرمات ، وصبر على الامتناع عن الشهوات ؛ لذلك وصف نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) شهر رمضان بشهر الصبر ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ) (مسند أحمد) ، فجدير بالصائم أن يتخلَّق بخلق الصبر، فيكظمَ غيظه، ويعفوَ عمنْ ظلمه ، ويعطيَ من حرمه ، ويحسنَ إلى من أساء إليه ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ) (صحيح البخاري) ، كما أن الصائم الحق لا يكذب ، ولا يغش ، ولا يغدر ، ولا يخون،

يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (من لم يدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ بِهِ ، فليس لله حاجةٌ بأن يدَعَ طعامَهُ وشرابَهُ) (سنن الترمذي).

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن من أهم مقاصد الصيام التكافل والتراحم، وشعور الإنسان بحال مَن حوله من الفقراء والمحتاجين ؛ فيحنو عليهم ، ويواسيهم ، ويقضي حوائجهم ، فقد سئل نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وتَقْرَأُ السَّلَامَ علَى مَن عَرَفْتَ ومَن لَمْ تَعْرِفْ) (الأدب المفرد للبخاري).

وإذا كان أجر التكافل والتراحم ، والجود ، وإطعام الطعام عظيمًا في سائر الأوقات ، فإنه في شهر رمضان أعظم أجرًا، وأفضل مثوبة ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا) (سنن الترمذي)، ويقول سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) : (كَانَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ) (صحيح البخاري).

فما أجمل أن نتعلم من مدرسة الصيام الدروس الإيمانية ، والفضائل الأخلاقية ، حتى نصل إلى غاية الصيام وحقيقته ، يقول سيدنا جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) : (إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ ، وبَصَرُكَ ، وَلِسَانُكَ ، عَنِ

الْكَذِبِ ، وَالْمَحَارِمِ ، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَصَوْمِكَ سَوَاءً) (شعب الإيمان).

اللهم احفظ مصر وسائر بلاد العالمين.

❊ ❊ ❊

رمضان شهر الجد والعمل والانتصارات

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك: ١٥)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن مفهوم العبادة شامل لجميع أبواب الخير النافعة للعباد والبلاد ، وقد نظر الدين الحنيف إلى العمل نظرة تعظيم وتوقير، وجعله بابًا من أبواب القربات؛ حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في شابٍّ مر على الصحابة (رضي الله عنهم)، فأعجبهم قوته ونشاطه: (إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ) (المعجم الكبير للطبراني)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ) (مسند أحمد).

وإذا كان شهر رمضان المبارك شهر التقرب إلى الله تعالى بجميع أنواع الطاعات من صوم وصلاة وقراءة قرآن ، وصدقة ؛ فإن الاجتهاد في العمل وإتقانه في ذلك الشهر الفضيل من الأهمية بمكان ؛ لأن رمضان شهر جد ونشاط ، لا شهر كسل أو بطالة ، وإذا كان المقصد الأعظم من الصيام التقوى ؛ حيث يقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا

كُتِبَ عَلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٨٣) فإن تمام التقوى لا يتحقق بكون الإنسان عالة على الآخرين ، إنما يتحقق بجده وعمله واستغنائه عن المسألة ، فقد كان نبي الله داود (عليه السلام) كثير الصيام، ولم يمنعه صيامه من إتقان عمله الشاق في صناعة الحديد ، حيث يقول الحق سبحانه : (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ) (الأنبياء: ٨٠)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (ما أكلَ أحدٌ طعامًا قطُّ خَيْرًا من أنْ يأكلَ مِن عمَلِ يدِهِ ، وإنَّ نبيَّ اللهِ داودَ كان يأكلُ من عمَلِ يدِهِ) (صحيح البخاري)، وكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يستعيذ من الكسل، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ وَالبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ) (صحيح البخاري).

وإذا كانت المراقبة من غايات الصيام فإن ذلك يدعو الصائم إلى الوفاء بحق العمل ، فالعمل أمانة يجب أداؤها ، حيث يقول الحق سبحانه: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الأنفال: ٢٧)، والصائم الذي يجتهد في صيامه وصلاته وسائر عباداته لأنه يعلم أن الله (عز وجل) يراه ويراقبه ينبغي أن يعلم أن الله (سبحانه) يرى عمله وإتقانه ، ويراقبه في كل ذلك ، حيث يقول سبحانه: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَال ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (يونس: ٦١)، وإذا كان من أهم ما يجب أن يحرص عليه الصائم أكل

الحلال واستجابة الدعاء ، فعليه أن يدرك أنه إذا أخذ الأجر ولم يؤد حق العمل فإنه إنما يأكل سحتًا وحرامًا .

والمتأمل في التاريخ الإسلامي يجد أن رمضان شهر الانتصارات ، ففيه كان يوم بدر ، حيث نصر الله تعالى عباده المؤمنين في معركة فاصلة بين الحق والباطل ، على قلّة عددهم وعدتهم ؛ حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (آل عمران: ١٢٣-١٢٦)، وفيه كان فتح مكة ، وفيه كان يوم العاشر من رمضان ، والكثير من أيام العزة والنصر .

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

في يوم العاشر من رمضان كان نصر السادس من أكتوبر المجيد ، الذي كان يوم استعادة الأرض والكرامة ، فكان النصرُ المجيدُ في شهر الصيام والقيام والقرآن والدعاء لأبطال القوات المسلحة المصرية ، صمام الأمان للدفاع عن الدين والوطن والأرض والعرض ، وقد برزت فيه شجاعة الجندي المصري وبسالته وتضحيته في سبيل وطنه.

ولا زالت قواتنا المسلحة الباسلة درعًا وسيفًا لوطنها ، حفظ الله مصر قائدًا حكيمًا ، وشعبًا كريمًا ، وحفظ قواتنا المسلحة الباسلة ، وجعل أيام مصر كلها أيام عزة ونصر وتقدم ورقي.

اللهم احفظ مصر وأهلها من كل سوء ومكروه ، واجعلها في أمنك وأمانك وضمانك إلى يوم الدين .

❋ ❋ ❋

العشر الأواخر وفقه الأولويات في واقعنا المعاصر

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ) (الحديد: ٢١)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ .

وبعد:

فإن من رحمة الله تعالى بعباده أن جعل العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك موسمًا لمضاعفة الحسنات ، واستباق الخيرات ؛ إذ النفوس تنشط عند قُرب النهاية ، وقد كان نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُحسِن اغتنام تلك الأوقات الفاضلة ، حيث تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها) : (كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إذا دخل العشرُ ، أَحْيَا اللَّيْلَ ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ) (صحيح مسلم).

ومن حسن التأسي بنبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إحياء ليل العشر الأواخر من رمضان بالصلاة ، وقراءة القرآن ، والذكر ، والاستغفار ، والإنفاق في وجوه الخير ، وهذا دأبُ الصالحين ، وعبادةُ المتقين ، حيث يقول الحق سبحانه في وصف أهل الجنة : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة: ١٦، ١٧)، ويقول سبحانه في وصف المتقين: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ

إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ* وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (الذاريات: ١٥– ١٨)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ، فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وقُرْبَةٌ إلى اللهِ ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثمِ ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ) (السنن الكبرى للبيهقي) .

وإذا كان رمضان هو شهر العتق من النار ، وما من ليلة من لياليه إلا لله (عز وجل) فيها عتقاء من النار ، فإن ذلك أرجى وأوكد في هذه العشر ، وإذا كان ربنا (عز وجل) يغفر للمستغفرين بالأسحار، فإن هذه الرحمة وهذه المغفرة أرجى في هذه العشر، لاشتمالها على ليلةٍ كرَّمها الله (عز وجل) وشرَّفها على سائر الليالي ، ألا وهي القدر ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (تَحرُّوا ليلةَ القَدْر في العَشْر الأواخِرِ من رمضانَ) (صحيح البخاري).

وهذه الليلة المباركة هي دُرَّة الليالي ، أنزل الله تعالى فيها كتابًا عظيم القدر ، على نبي عظيم القدر ، بواسطة ملَك عظيم القدر ، على أمة عظيمة القدر ، وهي ليلة تنزُّل المغفرة والرحمات والبركات ، حيث يقول الحق سبحانه: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ) (القدر: ١–٥)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (صحيح البخاري).

على أننا نؤكد أن تأليف القلوب وإصلاح ذات البين بابٌ لقبول الأعمال الصالحة ، وأن الخلافات والنزاعات سبيل الحرمان لا سيما في

هذه الليالي الفاضلة ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بلَيْلَةِ القَدْرِ ، فَتَلَاحَى فُلَانٌ وفُلَانٌ ، فَرُفِعَتْ وعَسَى أنْ يَكونَ خَيْرًا لَكُمْ) (صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ) (سنن النسائي).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إذا كانت أبواب الطاعة في هذه الأيام والليالي المباركة متعددة ومتنوعة فإن العاقل لا بد له من ترتيب أولوياته ، فيقدم ما يتعدى نفعُه على قاصر النفع أو محدوده ؛ لذلك يتأكد في هذه الأيام إخراج زكاة الفطر، ويجدر التعجيل في إخراجها من أول الشهر أو قبل العيد ؛ توسعةً على الفقراء والمساكين والأيتام والمحتاجين ، وتمكينًا لهم من قضاء حوائجهم قبل دخول العيد عليهم ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اغْنُوهُمْ عَنْ طَوَافِ هَذَا الْيَوْمِ) (السنن الكبرى للبيهقي).

ويجوز إخراج القيمة المالية في زكاة الفطر ، والنقدُ أنفعُ للفقراء في مجتمعنا وزماننا وأوسع لهم في قضاء حوائجهم ، ومراعاةُ ما فيه صالح الفقراء من فقه المقاصد .

كما أن فقه الأولويات يقتضي تقديم إطعام الفقراء والمساكين والتوسعة على المحتاجين على تكرار الحج أو العمرة ، فالأول واجب عيني أو كفائي ، والآخر نافلة ، ولا شك أنَّ الواجب عينيًّا كان أو كفائيًّا مقدم على

سائر النوافل ، فضلًا عمًّا في تفريج كروب المكروبين من الثواب العظيم، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَحَبُّ النَّاسِ إلى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إلى اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا) (المعجم الأوسط للطبراني).

اللهم تقبل صيامنا وقيامنا ، واحفظ بلدنا مصر وسائر بلاد العالمين.

❊ ❊ ❊

دروس عظيمة من يوم أحُد

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : (إِن يَنصُرْكُمُ الله فَلَا غَالبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الّذِي يَنصُرُكُمْ مِن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ) (آل عمران: ١٦٠)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن يوم أُحُد من الأيام العظيمة في تاريخ المسلمين ؛ حيث خرج مشركو مكة بعدتهم وعتادهم ، وجيشهم الذي بلغ نحو ثلاثة آلاف مقاتل للاعتداء على المدينة المنورة ، ولقتال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والمسلمين ، ردًّا على هزيمتهم الكبرى يوم بدر ، وليستأصلوا الإسلام قبل أن ينتشر نوره في ربوع الأرض، وخرج إليهم النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والمسلمون ، وكان اللقاء عند جبل أُحُد ، على مشارف المدينة المنورة . (السيرة لابن هشام).

لقد كان يوم أُحُد من أشد الأيام على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وعلى المسلمين ، والمتأمل في هذا اليوم يجد أنه مليء بالدروس والعبر ، منها: أهمية طاعة القائد وخطورة الخروج على المهام المحددة منه ، فقد جعل نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خمسين راميًا على جبل (عينين) المقابل لجبل أُحد ، وأمَّر عليهم سيدَنا عبدَ الله بن جُبير (رضي الله عنه)، وقال له: (انْضَحْ عَنَّا الخَيْلَ بِالنَّبْلِ ، لَا يَأْتُونَنَا مِنْ خَلْفِنَا ، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا فَاثْبُتْ مَكَانَكَ، لَا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ)، وقال للرماة: (إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ

تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ ، هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ ، فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ) (صحيح البخاري)، فاستغل خالد بن الوليد – ولم يكن أسلم– مخالفة بعض الرماة لأمر القائد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فانطلق مع مجموعة من المشركين ، وأغاروا على جيش المسلمين.

ومنها: تمحيص أهل الثبات ، واصطفاء أهل الشهادة ، حيث يقول تعالى: (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) (آل عمران:١٤٠–١٤٢)، ويقول تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ المُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ)(آل عمران: ١٦٦، ١٦٧).

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين .

إخوة الإسلام:

إن من أهم الدروس المستفادة من يوم أُحُد الإيمان بالحق، والاستعداد للتضحية في سبيله ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: (وَكَأَيِّن

مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (آل عمران : ١٤٦)، وقد ضرب أروع الأمثلة في ذلك سيدُنا أنس بن النضر (رضي الله عنه) حين مر على بعض الصحابة (رضي الله عنهم) وقد ألقوا أسلحتهم لما أُشِيع أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قُتل ، فانطلق قائلا : (اللهمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إليك مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ – يَعْنِي : أَصْحَابَهُ – وَأَبْرَأُ إليك مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ – يَعْنِي المُشْرِكِينَ) (صحيح البخاري)، وقال لهم : ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، وظل يقاتل حتى استشهد .

ومن هنا تتبين خطورة الشائعات التي حذرنا ديننا الحنيف منها ، ومن مروجيها ؛ لما لها من أثر مدمر على المجتمعات ، حيث يقول تعالى : (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُونَ وَالّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّك بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَك فِيهَا إلا قَلِيلاً مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً) (الأحزاب : ٦٠).

ومنها: عدم اليأس والإحباط ، والعمل على إعادة بناء الذات مهما كانت العقبات ، فمِن الألم يولد الأمل ، ومِن المحنة تولد المنحة ، حيث يقول سبحانه: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين) (آل عمران: ١٣٩).

فقد لملم المسلمون جراحهم سريعًا ، ولما قيل لهم إن أبا سفيان قد جمع جيشه وعاد ليجهز عليهم بالمدينة انتدب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أصحابه للخروج فخرجوا معه إلى حمراء الأسد وجراحهم لازالت تنزف ، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لا يخرج معنا إلا من شهد أحدًا ، فلما علم

أبو سفيان بخروجهم قال: ما كان ذلك ليحدث إلا بمدد جديد من أصحابهم ، فانصرف دون قتال (الفصول في السيرة لابن كثير)، وفي هذا الموقف يقول الحق سبحانه: (الّذِينَ قَال لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (آل عمران: ١٧٣، ١٧٤).

كما نتعلم من يوم أحد حسن الأدب مع الله تعالى ، والثناء عليه بما هو أهله ، والتضرع إليه سبحانه وتعالى حتى في أوقات البلاء والمحن ، فقد قال نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لأصحابه بعد الانتهاء من المعركة : (اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي)، فَكان مما قَال: (اللهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ ، اللهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ) (الأدب المفرد للبخاري).

اللهم اجعل مصر آمنة مطمئنة وسائر بلاد العالمين.

* * *

حسن الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (فصلت: ٣٠)، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

وبعد:

فها هو شهر رمضان المبارك يوشك أن يرحل عنا ، بعد أن ذقنا فيه حلاوة الطاعة ، ولذة المناجاة ، وتنسَّمنا فيه روح التكافل والتراحم ، وهذه سنة الله (عز وجل) في انقضاء الأزمنة والأوقات ، فبالأمس القريب كان يهنئ بعضنا بعضًا بقدوم شهر رمضان ، وها نحن الآن نودع أيامه ولياليه المباركة، وما الحياة إلا أنفاس معدودة ، وآجال محدودة ، حيث يقول الحق سبحانه: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) (الفرقان: ٦٢).

ونحن إذ نودع شهر رمضان المبارك ينبغي أن ندرك أهمية الخواتيم؛ حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ) (صحيح ابن حبان)، وذلك يقتضي منا أن نكثر من الذكر ، وتلاوة القرآن ، والاستغفار ، والصدقات فيما بقي من الشهر الكريم ، لعلنا أن ننال فضل الله تعالى، ونكون من عتقائه من النار ، حيث يقول الحق سبحانه : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (السجدة: ١٦)، ويقول تعالى: (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ

إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (البقرة: ٢٧٢)، وكان سيدنا عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) يكتب إلى الأمصار يأمرهم بختم شهر رمضان بالاستغفار والصدقة ، ويقول الحسن البصري (رحمه الله) : أكثروا من الاستغفار ؛ فإنكم لا تدرون متى تنزل الرحمة .

ولا شك أنَّ الحديث عن الاهتمام بإحسان خواتيم رمضان يدعو العاقل إلى السعي الجاد لإحسان خواتيم العمر ، حيث يقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وحسن الخاتمة أمل الأنبياء والصالحين ، ورجاء الأولياء والعارفين ، حيث يقول سبحانه على لسان سيدنا يوسف (عليه السلام): (تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) (يوسف: ١٠١)، وكان أكثر دعاء نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) (الأدب المفرد للبخاري).

على أننا نؤكد أن حسن الخاتمة ليس ملكًا لأحد من البشر ، ولا حكمًا يملكه أحد ، فالإنسان ليس وصيًّا على غيره ، يقول سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): لا تنزلوا المطيعين الجنة ولا المذنبين الموحدين النار حتى يضي الله فيهم بأمره ؛ ولا تأمنوا على خير هذه الأمة عذاب الله؛ فإنه يقول: فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ" (العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ت: ٣٢٨هـ).

فالخاتمة في علم الله تعالى، وقد يمنُّ الله تعالى على المذنب بتوبة قبل الموت ، أو يوفقه لعمل صالح يختم به حياته ، ولا يدري الإنسان بأي عمل يُرحَم ، ولا بأي ذنب يُؤخذ ، كما أنه لا يدري متى تبغته المنية وعلى أي عمله تبغته؟! حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ

بِعَبْدٍ خَيْرًا، عَسَلَهُ) ، قِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ؟ قَالَ: (يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ) (مسند أحمد) .

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن السعي إلى حسن الخاتمة ليس مقصورًا على الصلاة والصيام والقيام، إنما يتجاوز ذلك كله إلى المداومة على كل عمل يعود نفعه على المجتمع من أعمال البر والخير ؛ لأنها من أحب الأعمال عند الله (سبحانه وتعالى)، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ (عزَّ وجلَّ) سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ، تَكشِفُ عنه كُربةً ، أو تقضِي عنه دَيْنًا ، أو تَطرُدُ عنه جوعًا) (المعجم الأوسط للطبراني)، وهي سبب من أهم أسباب حسن الخاتمة، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ ، وَالْآفَاتِ وَالْهَلَكَاتِ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ) (الجامع الصغير للسيوطي)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الربِّ، وتدفعُ مِيتةَ السُّوءِ) (سنن الترمذي).

ومن صور المداومة أنه من كان يكفل يتيمًا في رمضان فلا ينبغي أن يتركه في منتصف الطريق ، إنما عليه أن يأخذ بيده إلى أن يبلغ رشده ويقوى على حمل أمره ، وكذلك من كان يطعم جائعًا في رمضان فينبغي

عليه أن يواصل إطعامه في غير رمضان ، فإن إطعام الطعام من أفضل الأعمال في رمضان وفي غيره ، حيث يقول الحق سبحانه في صفة أهل الجنة: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) (الإنسان: ٨، ٩)، وإن أفضل العمل ما داوم عليه صاحبه وإن قَلَّ ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (وَأَحَبُّ الْعَمَلِ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ) (مسند أحمد).

ومن حسن الخاتمة في هذا الشهر الكريم أن يوفقك الله (عز وجل) إلى إحياء ليلة العيد ، وإلى التوسعة على الفقراء والمساكين في هذه الأيام، وفي يوم العيد ، وأن يوفقك الله (سبحانه وتعالى) لمواصلة الطاعة بصيام ست من شوال، وألا تنقطع عن قيام الليل ، والذكر ، وتلاوة القرآن ، وسائر الأعمال الصالحة التي كنت تفعلها في هذا الشهر الفضيل.

اللهم ارزقنا حسن الخاتمة واحفظ مصرنا وسائر بلاد العالمين .

❊ ❊ ❊

خطبة عيد الفطر المبارك

الحمد لله رب العالمين ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرة وأصيلًا ، وأَشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فاليوم يشرق علينا عيدُ الفطر المبارك لينثر على الدنيا الفرح والبهجة والسرور؛ فهو يوم الجائزة الكبرى ، حيث تتجلى عوائد الكرم الرباني، فيفرح الصائِمون بصيامِهِم، وقيامهم ، واجتهادهم في العبادة ، وإنفاقهم في وجوه الخير، حيث يقول الحق سبحانه: (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس: ٥٨)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ ، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ– فَرِحَ بِصَوْمِهِ) (سنن النسائي).

وفي الأعياد تتجسد مظاهر الفرح المشروع ، فقد قدم نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا ، فَقَالَ : (مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟ قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ اللهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى ، وَيَوْمَ الْفِطْرِ) (المستدرك للحاكم).

ولا شك أنَّ شكر الله (عز وجل) على نِعَمِه من أهم مظاهر الاحتفال بالعيد، فإنَّ الصيامَ والقيامَ وسائرَ صنوف العبادات نِعَمٌ مَنَّ الله (عز وجل) بها على عباده ، ووفَّقهم للقيام بها وإتمامها ، حيث يقول سبحانه: (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ

وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (البقرة: ١٨٥)، كما يستحب في العيد الحرص على صلة الأرحام ، وتوطيد العلاقات الاجتماعية بالتآزر والتآلف ، والعمل على إغناء الفقراء عن السؤال في هذا اليوم ، حيث يقول الحق سبحانه: (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٧٣)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا ، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ) (صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)(صحيح البخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اغْنُوهُمْ عَنْ طَوَافِ هَذَا الْيَوْمِ) (السنن الكبرى للبيهقي).

ومن شكر نعمة الله (عز وجل) على توفيقه للطاعة المداومة عليها بعد شهر رمضان ، فإن أيام العام كله مواسم للطاعة ، وإذا كانت أبواب الجنة قد فُتحت في رمضان فإنها لا تُغلَق بعده ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ) (الأدب المفرد للبخاري)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (ما مِنكُم مِن أحَدٍ يَتَوَضَّأُ فيُبْلِغُ- أوْ فيُسْبِغُ- الوَضُوءَ ، ثُمَّ يقولُ: أَشْهَدُ أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّ مُحَمَّدًا عبدُ اللهِ ورَسولُهُ ؛ إلَّا فُتِحَتْ له أبْوابُ الجَنَّةِ الثَّمانِيَةُ يَدْخُلُ مِن أيِّها شاءَ)(صحيح مسلم). والمداومة على الطاعة امتثال لأمر الله (عز وجل) حيث يقول: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ) (الحجر: ٩٩)، وقد سئلت السيدة عائشة (رضي الله عنها): (كيف كان عَمَلُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنْ الْأَيَّامِ؟ قَالَتْ: لاَ ، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً) (صحيح البخاري)، وقَالَ

بَعْضُ السَّلَفِ: (إِنَّ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا ، وَإِنَّ مِنْ جَزَاءِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ بَعْدَهَا) (تفسير ابن كثير).

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

ومن الأعمال التي يستحب المواظبة عليها ، ما سَنَّهُ لنا نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من الصيام في شهر شوال ، فقد أرشدنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى فضل صيام ستٍّ من شوال ، وحثَّ عليها ، ورغَّب في صيامها ، حيث يقول: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ) (صحيح مسلم).

كما يستحب المداومة على القيام ، والذكر ، وقراءة القرآن ، وسائر الطاعات التي كنت تحرص عليها في هذا الشهر الفضيل.

اللهم تقبل صيامنا وقيامنا وسائر أعمالنا ، واحفظ مصر وسائر بلاد العالمين ، وكل عام وأنتم بخير .

* * *

فهرس الموضوعات





الناشر / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي: